IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJIS
Vol 31, No 3, 2023, pp 202 -228

Received on (15-11-2022) Accepted on (22-01-2023)
https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.3/2023/9

The significance of the words on the hidden meanings, and their impact on enriching the Qur'anic meanings, an applied study
(The verses of the vision of Joseph, peace be upon him, and their interpretation as a model)

Hafez T. Elbata[*1], Prof. Zakaria I. Al-Zumaili[*2]
Department of Interpretation and Quran Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion - Islamic University – Gaza[*1,2]

[*]Corresponding Author: hafezalbatta123@gmail.com

Abstract:
This explanatory research deals with an important addition from the investigations of interpretive semantics, which is a statement of the importance of the significance of the words on the hidden meanings, and their impact on enriching the Qur'anic meanings. A methodology based on a preface, and two sections, under each demanded topic, the preamble specializes in the original aspect, in terms of defining semantics, clarifying its divisions. In clarifying the connotations of the words on the hidden meanings, And the sponsored signs deduced from them, whether through the phrase or sign, or the operative and the concept, or in terms of metonymy and statement, exposure, waving and allusion, gesture and suggestion, warning, and symbol. What God opened for researchers, until the research reached the climax of completeness, and settled on its market, then followed by a conclusion containing the most prominent results, and appended to an index in which the most important sources and references on which the research relied.

Keywords: Allusion - allusion - hidden - nodding - metaphor – exposure.

دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخَفيَّة، وأثرُها في إثراءِ المعاني القرآنيَّة ـ دراسةٌ تأصيليَّةٌ تطبيقيَّةٌ
(آيات رؤيا يوسف(عليه السلام) وتأويلها ـ أنموذجاً)

أ . حافظ تكريم حافظ البطة [1]، أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي [2]
قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية أصول الدين-الجامعة الإسلامية-غزة [1,2]

الملخص:
يتناولُ هذا البحث التفسيري إضافةً مُهِمةً مِن مباحث علم الدَّلالة التفسيري، وهو بيان أهمية دلالة الالفاظِ على المعاني الخَفيَّة، وأثرُها في إثراء المعاني القرآنية، وسلك الباحثان المنهجَ الوصفيَّ الاستقرائي الاستنباطي، وقد جمعتِ الدِّراسَةُ بين التأصِيل العلمي والتَّطبيق العملي، وقد بُني أس هذا البحث التفسيري على منهجيةٍ قائمةٍ على تمهيد، ومبحثين، تحت كلِّ مبحث مطالب، اختصَّ التمهيد بالجانب التأصيلي، من حيث تعريف علم الدَّلالة، وبيان أقسامها، أمَّا الجانب التطبيقي في الدراسة فقد اختار الباحثان آيات رؤيا يوسف(عليه السلام)، وتأويلها لتكونَ أنموذجاً، في بيان دلالات الألفاظ على المعاني الخفيَّة، والإشارات المرعية المستنبطة منها، سواء كان ذلك عن طريق العبارة أو الإشارة، أو المنطوق والمفهوم، أو من ناحية الكِناية والتصريح، والتعريض، والتلويح والتلميح، والإيماء والإيحاء، والتنبيه، والرمز، وقد قامت الدِّراسة التطبيقية على استقراء كتب التفسير المعنية بإبراز الدَّلالات الخفيَّة، إضافة إلى ما فتح الله به على الباحثين، حتى بلغ البحث ذروة التمام، واستوى على سوقه، ثم أتبع بخاتمة مشتملة على أبرز النتائج، وألحق بفهرس ذُكر فيه أهمِّ المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

كلمات مفتاحية: دلالة ــ إشارة ــ الخفيَّة ــ إيماء ــ كناية ــ تعريض.

المقدِّمة:

الحمد لله الكريم المنان، الحمد لله الذي امتن علينا بنعمة القرآن والذي كشف لعلمائنا وباحثينا أسرار الوحي والبيان، والصلاة والسلام على رافع لواء الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته إلى يوم الدين؛ وبعد:

فإنَّ الوقوف مع آيات كريمات من سورة عظيمة من سور القرآن المئين، واستخراج ما فيها من المعاني الخفيَّة، أمرٌ ممتعٌ مستحسنٌ؛ لأنَّ النفوس موكولةٌ بكلِّ خفيٍّ غريبٍ تستحسنُه، وتُؤثرُه، وتنافس فيه، وهذه الدِّراسة مسلكٌ رفيعٌ، ومهيعٌ عريقٌ؛ لأنَّها تتعلق بالمعاني الخفيَّة العميقة، ذات المغازي الشريفة في القرآن؛ فإنَّه لا حياةَ للقلوب، ولا نعِيمَ ولا طُمأنينةَ إلا بتدبُّر كتاب ربِّها وتَفهُّم معانيه الظاهرة والخفيَّة[1].

والمتأمل أدنى تأملٍ، يتبيَّن له أهميَّة القيام ببحث يُؤصل فيه لمفهوم دلالات الألفاظ القرآنية على المعاني الخفيَّة وأثرها في التفسير، تأصيلاً شرعياً، بعيداً عن المعاني الباطنية الرديئة؛ لذلك فإنَّ علم دلالات الألفاظ على المعاني الخفيَّة يُعَدُّ من أجلِّ علوم القرآن وأصول التفسير، وأعظمها منزلةً، وأعلاها قدراً؛ لتعلُّقه بأعظم كتابٍ، وهو القرآن العظيم.

والمتدبِّر للقرآن الكريم يلحظ بأنَّه لا تخلو آيةٌ من آياته الكريمة إلا وتحمل في طيَّاتها وبين جنباتها ودفَّتيها فائدةً جليلةً، أو حكمةً بليغةً، أو لطيفةً بديعةً، أو نكتةً جميلةً، أو إشارةً ذكيةً، أو معنىً خفيّاً، أو تشريعاً سماوياً أصيلاً، والتي إن ظهر وكُشِفَ كان علاجاً شافياً، وبلسماً ناجعاً، وسبباً ناجحاً في تشخيص مشكلات الأُمَّة وحلِّها، كلُّ ذلك يُنبئ بأنَّ علم الدلالة القرآني عظيم الفائدة، رفيع المكانة، جليل القدر، عميق الخفايا، دقيق الأسرار، لا سِيَّما دلالة الألفاظ على ما وراء المعاني الخفيَّة، وهو ما يُعرف باسم: مُخبَّآت المعاني، وهذا من أوجه إعجاز القرآن؛ لذا فقد عقدنا العزم على الإدلاء في هذا الموضوع ببحثٍ لطيفٍ، سمَّيناه وعنونَّاه بـ: **دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخَفيَّة، وأثرُها في إثراء المعاني القرآنية . دِراسةٌ تأصيليةٌ تطبيقيةٌ (رؤيا يوسف(عليه السلام) وتأويلها أُنموذجاً)**

❁ ❁ ❁

نسأل الله ﷻ التَّوفيق والقبول، وأن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم.

أوَّلاً: أهداف الدِّراسة:

1. التأصيل العلمي لدلالات الألفاظ على المعاني الخفيَّة، مع بيان عظمة هذا الطِراز من التفسير في الواقع.
2. المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير المتجدد من خلال بحثٍ علميٍّ مُحكَّمٍ.
3. بيان عناية العلماء بعلم دَلالة الألفاظِ على المعاني، واعتبار الدَّلالة الخفيَّة في التفسير، وأنَّها لونٌ من ألوان التفسير المعاصر.

ثانياً: الدِّراساتُ السابقةُ:

بعد الاطلاع الواسع، والبحث الدقيق، والتحري العميق لم يعثر الباحثانِ على أيَّةِ دِراسةٍ علميةٍ مُحكَّمةٍ متخصِّصةٍ، تفي بموضوع الدِّراسة، أو ذات صِلةٍ بصُلب الدِّراسة، وقد اطلع الباحثانِ على بعض الرَّسائل التي تؤاخي هذه الدِّراسة، وهي:

1. **التَّعرِيضُ في القرآن الكريم:** إبراهيم محمد الخُولي، الناشر: دار البصائر، ط1 عام(2004م)، وقد اقتصر الباحث في دراسته على دلالة واحدة من الدَّلالات وهي (دلالة التَّعريض)، واستغرَقَ كتابه كلَّه في التَّأصيل لهذه الدَّلالة؛ وبهذا يظهرُ الفَرقُ بين ذلك الكتاب القيِّم، وبين هذه الدِّراسة، فهي أعمُّ من دلالة التَّعريض؛ إذ تجمَعُ الدَّلالاتِ الخفيَّةَ جميعَها.

(1) يُنظر: أبو القاسم الزَّجَّاجي: مختصر الزَّاهر(4/1)، وابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري العسقلاني(5/1).

2. **الكِنايةُ في القرآن الكريم (موضـــوعاتُها ودلالاتُها البلاغية)**: أحمد فتحي الحيَّاني، الناشـــر: مكتبة النقد العربي، ط1، عام(2014م)، واقتصـــر فيه مؤلِّفه على دلالة الكناية، وهي إحدى الدَّلالات الَّتي يتناولها هذا البحث، والكتاب لم يكن يُعنَى بالدَّلالة على المعاني الخفيَّة؛ بل كان يهدف إلى بيان أدب القرآن في الكناية عن الأمور المُستَكرَهة.

ثالثاً: منهجية الدِّراسة: وقد سلك الباحثانِ في هذه الدِّراسة المنهج الوصفي الجامع بين الاستقراء والتَّحليل، والاستنباط والتَّأصيل والتَّمثيل؛ وذلك في تتبُّع الآيات القرآنيَّة، ودراستها دراسة موضوعيَّة، ومن ثمَّ تخريج دلالاتها الخفيَّة، وإشاراتها اللَّطيفة البديعة من خلال استقراء كتب التَّفاسير ذات الاختصاص والعناية؛ وكي تأخذَ الدِّراسةُ حقَّها موفوراً مستوفياً، كان لابُدَّ من الجمع بين قِسمَينِ:

الأوَّل: القِسم التَّأصيليُّ: إنَّ هذا القسم بمثابة التَّمهيد والتَّأصيل لقسيمه التَّطبيقي؛ كونه يؤصِّلُ لدلالة الألفاظ على المعاني الخفيَّة.

الثاني: القِسم التَّطبيقيُّ: حيث إنَّه يُبرز دلالات الألفاظ على المعاني الخفيَّة:(آيات رؤيا يوسف(عليه السلام) وتأويلها. أُنموذجاً). وقد قمنا بجرد ما تيسَّر من كتب التفسير، واستخراج ما تناثر من أقوال المفسرين ممَّا فيه كشفٌ لمعنىً قرآنيٍّ خفيٍّ أو إشارة فقهيَّة أو نكتة أُصوليَّة أو حُكم شرعي أو لفتة تربويَّة أو أسلوب دعوي أو ملحظ تاريخي، مما له أثرٌ محسوسٌ في عالم الواقع في حياة النَّاس.

رابعاً: خُطَّةُ الدِّراسة: تتألف هذه الدِّراسة من مقدِّمةٍ، ومبحثٍ تمهيديٍّ، ومبحثين، وخاتمةٍ، ثم فهرس، وبيان ذلك على النحو الآتي:

المبحثُ التمهيديُّ
تعريف علم الدَّلالة، وبيان أقسامها

ويتكوَّن من مطلبين:

المطلب الأوَّل: تعريف علم الدَّلالة.

المطلب الثاني: أقسام الدلالة.

المبحث الأوَّل
دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّةِ في آيات رؤيا يوسف(عليه السلام) في المنام، من الآية(4 . 6)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الرابعة، نصِّ رؤيا يوسف(عليه السلام).

المطلب الثاني: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الخامسة، نصيحة الأب لولده.

المطلب الثالث: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية السادسة، الاجتباء الربَّاني ليوسف(عليه السلام).

المبحث الثاني
دلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آيات تحقيق رؤيا يوسف في عالم الواقع، من آية(99 . 101)

ويتكوَّن من ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية التاسعة والتسعين، دخول يعقوب وأولاده مصر.

المطلب الثاني: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية المئة، سجود إخوة يوسف وأبويه ليوسف تكرمةً له.

المطلب الثالث: دَلالةُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الحادية بعد المئة، دعاء يوسف العريق، مسك الختام.

ثم الخاتمة: وتشتمل على أهمِّ النتائج، وأشرف التوصيات.

المبحث التمهيدي
علم الدَّلالة (مفهومه، أقسامه)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف علم الدَّلالة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف علم الدَّلالة لغةً:

الدَّلالة أصلها من (دلَّ): وهي كلمةٌ تدلُّ على إبانة الشيء بأمارةٍ، والدليل: الأمارة في الشيء[1]، فدلَّ يدلُّ إذا هدى، والجمع أدلة، والاسم الدلالة، والدَّلالة: ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والدليل: ما يُستدلُّ به، وهو بِناءُ مبالغة، ويسمَّى الدَّالُّ والدليلُ دلالةً، ومنه قوله:**[ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا]** {الفرقان:45}، فالدليل: هو المرشد إلى مطلوب، والموصل إلى مقصودٍ، وغالب استعمال الكلمة أن يكون إرشادَ من يطلبُ معرفةً، والدلالة: الإشعار بأمر خفيٍّ[2]، وبِناءً على ما سبق فإنَّ المعنى الذي تدور حوله مادة دلل، هو: الإرشاد والإبانة والتَّسديد بالإمارة، ولقد وردت مشتقات لفظة الدلالة في السياق القرآني في ثمانية مواضع، وكلُّها بمعنى: الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، والقصد والإرادة[3].

ثانياً: تعريف علم الدَّلالة اصطلاحاً:

الدَّلالة في الاصطلاح: هي كون الشيء بحالةٍ إذا علمتَ بوجُوده انتقل الذِّهنُ إلى وجود شيءٍ آخرَ، والدلالة هي: كون اللفظ بحيث إذا أُطلق فَهم منه المعنى مَن كان عالماً بالوضع، والدلالة هي: نسبةٌ مخصوصةٌ بين اللفظ والمعنى، وهي: فَهم السامع من الكلام تمامَ المسمَّى أو جزأه أو لازمه، والدلالة: كون الشيء يلزم من فَهمه فَهمُ شيءٍ آخرَ[4]، والشيءُ الأولُ: هو الدَّال، والثاني هو المدلول، والدَّلالة: مصدر الدليل، والدليلُ ما يُمكن التَّوصُّل بصحيح النظر فيه إلى مطلوبٍ خبريٍّ[5].

ويرى الباحثانِ: باعتبار ما ذُكِر أنَّ الدلالة وحدة تقوم على نسبة بين شيئين مرتبطين بعضهما ببعضٍ ارتباطاً لا انفصام فيه، وأنَّ هناك تقارباً في التعريفات؛ إذ إنَّ الغاية منها هي الوصول إلى المعنى وتحديده، وأنَّ الاختلافات إنَّما هي في التعبيرات، لا في المعاني والمضمونات.

المطلب الثَّاني: أقسام الدَّلالة، وأنواعها عند العلماء؛ وفيه نوعان:

النَّوع الأوَّل: أقسام الدَّلالة عند البلاغيين (الكناية والتَّعريض والتَّلويح والإيماء والرَّمز والإشارة).

بلغت العناية بعلم الدلالة قمّتها لدى البلاغيّين، ولذلك فقد قسَّموها إلى نوعين:

الأوَّل: دلالة ظاهرة، تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده. والثَّاني: دلالة باطنة، وهي الدلالة البلاغية، أو ما تسمَّى بـ(معنى المعنى)، وهذا النَّوع لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر؛ كما ويقوم هذا النَّوع على الكناية والاستعارة والتمثيل، والمجاز، وهي أساليب تفصح عن المعاني الثواني[6].

وقد قال الجرجاني: إنّ "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك على معناه الّذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لك بذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"[7].

النَّوع الثَّاني: أقسام الدَّلالة عند الأُصوليّين والمناطقة (العبارة والإشارة والاقتضاء).

(1) ابن فارس: مقاييس اللُّغة (259/2)، والفيروز آبادي: القاموس المحيط(ص:1292)، وابن منظور: لسان العرب(248/11).
(2) الراغب: المفردات(ص:316)، والجوهري: الصِحاح(211/1) والسمين الحلبي: عمدة الحفاظ(20/2)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(164/22،148).
(3) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن(ص:316)، ومحمود فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم(ص:320).
(4) الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه(268/2)، والإسنوي: نهاية السول(194/1)، والسبكي: الإبهاج(204/1)، ومحمد المظفر: المنطق(26/1).
(5) الخليل الفراهيدي: العين(8/8)، والجُرجاني: التعريفات(ص:104)، والسيوطي: معجم مقاليد العلوم(ص:118)، والشوكاني: إرشاد الفحول(22/1).
6() يُنظَر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، (202– 203).
7() (المرجع السَّابق نفسه).

إنّ ادراك الأصـــوليّين لأهمّيّة الجانب اللغويّ في معرفة طرق دلالات النصـــوص دفعهم إلى البحث فيما يعينهم على دراســـة المعنى بمستوياته الثلاثة (المعنى الحقيقيّ، والاستعماليّ، والوظيفي)، فالحقيقيّ يتمثّل بالمعجميّ، والثاني يتمثل باستعمال اللفظ في غير معناه الأصليّ، هو المجازيّ، وتمثّل الوظيفيّ بما تؤدّيه اللفظة من وظيفة نحويّة في أثناء تركيبها مع غيرها.

وقد بحثوا في العلاقة بين اللفظ والمعنى من جانبين: **نظريّ وتطبيقيّ**، شمل الأوّل منهما البحث في أصل اللغة، وجواز القياس فيها وعدمه، ودلالة الأسماء الشرعيّة والدينيّة، أمّا الثّاني، فقد تمثّل بتفسير الخطاب الشرعيّ الّذي بحثوا فيه أنواع دلالة اللفظ على المعنى، وهي لديهم على **أربعة أقسام**، هي: **عبارة النصّ، وإشارة النصّ، ودلالة النصّ، واقتضاء النصّ**[1].

وقد كان هناك اختلاف في تقويم الدلالة وأنواعها بين الأحناف والمتكلمين من الأصـوليين، وقبل البدء بذلك تجدر بنا الإشـارة إلى أنّ لعلماء المنطق تقسيمًا اصطلاحيًا للدلالة، وقد أفاد منه الأصوليون فهي عندهم على قسمين:

1. **الدلالة اللفظية:** وهي دلالة الألفاظ على المعاني بالوضع اللغوي، سواء كان المعنى حقيقيًا أو مجازيًا.
2. **الدلالة غير اللفظية:** وهي الدلالة التي لا دخل للفظ فيها، إنّما يكون الدال فيها إشارة أو تعبيرًا.
3. وتنقسم كلتا الدلالتين إلى دلالة طبيعية ودلالة وضعية ودلالة عقلية على النحو الآتي:

أ. **الدلالة الطبيعية:** هي الدلالة التي يكون فيها الدال شيئًا طبيعيًا، كدلالة التأفف على الضجر.

ب. **الدلالة العقلية:** وهي الدلالة التي يهتدى بها عن طريق العقل.

ت. **الدلالة الوضعية:** هي الدلالة التي يكون فيها الدال متفقًا أو مصطلحًا عليه، كدلالة (اللفظ) على تمام المعنى الموضوع له.

والمستعمل من هذه الأقسام عند المناطقة والأصوليين هو الدلالة الوضعية للفظة، (وهي عند أهل التربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم المعنى منه للعلم بالوضع، وعند المنطقيين كونه بحيث كلما أطلق فهم المعنى للعلم بالوضع).

ويرى المناطقة والأصوليون، أنّ دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى ثلاثة أنواع[2]:

1. **دلالة المطابقة:** وسميت دلالة مطابقة؛ للتطابق الحاصل بين الدال والمدلول، أي: بين اللفظ والمعنى المستفاد منه، وهي التي يدل اللفظ فيها على تمام معناه الموضوع له بطريق المطابقة، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.
2. **دلالة التضمن:** وسميت دلالة تضمن؛ لأنَّ جزء المعنى قد فهم ضمن فهم تمامه، وهي اعتبار اللفظ إلى جزئه من حيث هو كذلك، نحو دلالة الفرس والإنسـان والأسـد على معانيها التي هي متضـمنة لها، كالحيوانية والإنسـانية، فإنّ هذه المعاني كلها تدلّ عليها الألفاظ عند الإطلاق؛ لأنّها متضمنة لها من حيث هذه الحقائق متضمنة لها، ودلالاتها عليها من جهة تضمنها له.

3. دلالة الالتزام: أجمع البلاغيون على أنّ الدلالة الوضـــعية لا يقع فيها تفاوت، وإنّما يقع التفاوت في الدلالة الالتزامية أو دلالة الالتزام، فالأولى وضعية والباقيتان عقليتان؛ لأنّ وضع اللفظ إذا وضع للمسمّى انتقل الذهن من المسمّى إلى اللازم، وسميت دلالة الالتزام؛ لأنَّ المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن معناه يلزم منه بواسطة العقل أو العرف[3].

هذا التقسـيم الذي أقرّه كل من المناطقة والأصـوليين في تقسـيم الدلالة اللفظية إلى ثلاثة أقسـام هي: **(دلالة عقلية وتضـمنيه والتزاميه)**، في حين الذي يظهر واضـحًا في كثير من كتب الأصوليين، أنّ الأصـوليين انقسموا على فئتين في تحديد طرائق الدلالة هما: طريقة المتكلمين (المالكية والشافعية والحنبلية)، وطريقة الأحناف (مدرسة الفقهاء).

الأولى: طريقة الجمهور (المتكلمين) وقسموا طرائق الدلالة على قسمين: (المنطوق) و (المفهوم).

وينقسـم المنطوق إلى قسـمين: المنطوق الصـريح، (وهو المعنى الذي يعلم من اللفظ بمجرد العلم بالوضـع اللغوي)، والمنطوق غير الصريح، (وهو المعنى الذي دل عليه اللفظ في غير ما وضع له).

1() يُنظَر: البحث النحويّ عند الأصوليّين، مصطفى جمال الدين، (ص9)، والمعتمد في أصول الفقه، محمّد البصريّ، (1/ 13،30).

2() يُنظَر: مفاهيم الألفاظ ودلالتها عند الأصوليين، (ص10)، والمناهج الأصولية، الدريني، (ص217).

3() يُنظَر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، (288/2)، ونهاية السول شرح منهاج الوصول، الإسنوي الشافعي، (ص148).

والمنطوق غير الصريح ينقسم إلى ثلاثة أقسام (دلالات)، وهي دلالة (الاقتضاء، والإيماء، والإشارة).

الثَّانية: طريقة الفقهاء الأحناف، وقد قسموا طرائق الدلالة إلى أربعة أنواع وهي: **عبارة النَّصِ، وإشارة النَّصِ، ودلالة النَّصِ، واقتضاء النَّصِ**[1].

- **(ملحوظة هامَّة): يرى الباحثان** كثيرًا من الخلط والتَّداخل بين عبارات اللُّغويّين والبيانيّين في التَّعبيرِ عن مصطلحات دلالة الألفاظ؛ حيث إنَّ الظُّهور والخفاء أمر نسبيٌّ؛ لذَلك لم يستطع أحد أن يضع حدًّا فاصلاً ودقيقًا بين هذه المصطلحات؛ بحيث يجرِي حكمه على المتكلِّمين والمخاطبين جميعًا، بل تَختلف نسبة الخفاء باختلاف حال المُتكلِّم والسَّامع إلى درجات كثيرة؛ ولهذا فإنَّ خير مُرشد في التَّفريق بين هذه المصطلحات هو المعنى اللُّغويّ، فما كان معناه اللُّغوي يدلُّ على شدَّة الخفاء كالرَّمز مثَلاً، فيُسمَّى كذَلك، وما كانا متقاربين في اللُّغة فلا حرج أن يُسمَّى بأيٍّ منهما، كالإشارة والإيماء مثلاً.

ومِن هُنا: يجب على المُفسِّر أن يبحث عن مراد المتكلِّم سبحانه، فمَن عَرف مراد المتكلِّم بدليل من الأَدلَّة وَجب اتِّباع مراده، والألفاظ لم تُقصَد لذواتها، وإنَّما هي أدلَّة يُستدَلُّ بها على مراد المتَكلِّم، فإذا ظَهر مراده، ووَضح بأَيِّ طريق كان عُمِلَ بمقتضاه، سواء كان: بإشارة، أو كتابة، أو بإيماءة أو دلالة عقليَّة، أو قرينة حاليَّة، أو عادة له مطَّردة لا يُخِلُّ بها[2].

المبحث الأوَّل

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّةِ من الآية (4- 6).

المطلب الأوَّل

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الرابعة

قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾{يوسف:4}.

وتنتظم دلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في مسألتين، بيانُهما على النحو الآتي:

المسألةُ الأُولى: قوله:**[إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا]**، وفيه ثمانية معانٍ خفيَّة، بيانُها كما يلي:

1. قوله:**[إِذْ قَالَ]** نصب بإضمار: اذكر، أي: اذكر وقتَ قال يوسف، وذكر الوقت **كنايةٌ** عن ذكر ما حدث فيه، والكلام في الآية شروعٌ في القصَّة، وإنجازٌ للوعد الربَّاني بأحسن الاقتصاص، وقوله:**[يَا أَبَتِ]** أي: يا أبي، والتاء **للمبالغة**، والنداء مع كون المنادى حاضراً، مقصودٌ به الاهتمامُ بالخبر الذي سيُلقى إلى المخاطَب فينزَّل المخاطبُ منزلة الغائب المطلوبِ حضورُه وهو **كنايةٌ** عن الاهتمام، وفيه **إيماءٌ** إلى أنَّه من العقوق أن يُسمِّي الولد أباه باسمه، ويدعوه به، وبيان أدب يوسف بقوله:**[يَا أَبَتِ]** مشيراً بأداة البعد إلى أنَّ أباه عالي المنزلة جداً، وإلى أنَّ الكلام الآتي مما له وقعٌ عظيمٌ، فينبغي أن يهتم بسماعه والجواب عليه، والأب: الوالد، ويسمَّى كلُّ من كان سبباً في إيجاد شيءٍ أو صلاحه أو ظهوره أباً، وهي أكثر حناناً ورِقةً من كلمة: والدي، وفيه: إظهار الطواعية والبرِّ، **والتنبيه** على محلِّ الشفقة بطبع الأُبوة[3].
2. فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الولد تابعٌ لأبيه؛ لأنَّ الولد بعضٌ من أبيه، فإذا داهم الولد ما يُفزع ويُزعج، لجأ الولد إلى مَن يحبُّه؛ وهو وليه بالفطرة الأب؛ لأنَّ الأب في نظر الابن هو الأقدر على مواجهة الصعاب، وفيه **دلالة** على أنَّ الرؤيا تقع من الصغير، وفيه **إشارةٌ** أنَّه له حكم لفعله، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الصبي لا يخاطب بالطاعة والشأن العظيم، ولكن يجوز منه التلبس بالطاعة بطريق التبعية. وفيه بيان صحة الرؤيا من غير الأنبياء؛ لأنَّ يوسف لم يكن نبياً في ذلك الوقت، بل كان صغيراً، وفيه أنَّ الله أراد أنْ يقدِّم ليوسف ومضةً منيرةً، **وإشارةً دالةً**، فكانت رؤياه، والآية **أصلٌ** في إثبات الرؤيا في المنام، وهي جزءٌ من النبوَّة،

1() يُنظَر: معالم أصول الفقه، الجيزاني، (ص446)، ومفتاح العلوم، السكاكي، (ص156)، وأصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد، الزلمي، (1/ 11).

2() وهي ما تسمى بأعراف القرآن وعاداته وكلِّياته، وهي تنضوي تحتَ السياق العام للقرآن الكريم.

(3) ينظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن(6/1)، وأبو حيَّان: البحر المحيط (281/5)، ومحمود الزهار: التيسير في فَهم التفسير(65/3).

ونوعٌ من أنواع الوحي؛ فإنَّها مبنيةٌ على القياس والتمثيل، واعتبار المعقول بالمحسوس، وفيه **إشارةٌ** أنَّ الرُّؤيا حقٌّ، وصواب، فهي البقية الباقية من معاني النبوَّة[1].

3. قوله:**[رَأَيْتُ]** في المنام ورؤيا الأنبياء وحيٌّ وهي من النبوَّة وإرهاصٌ ليوسف؛ لأنَّه كان صغيراً، وفي اللُّغة: رأى بالعين يرى رؤيةً، ورأى بالقلب يرى رأياً، ويرى في المنام يرى رُؤيا، وقوله:**[رَأَيْتُ]** فيه **دَلالة** على أنَّ النَّفْس طَبْعُها الحركةُ، لا تَسكُنُ قَطُّ؛ فإنَّه لا وقوفَ في الطبيعة، ولا في السير[2].
4. ابتداء قصة يوسف بذكر رؤياه **إشارة** إلى أنَّ الله هيَّأ نفسَه للنبوَّة، فابتدأه بالرؤيا وفي ذلك تمهيدٌ للمقصود من القصة، وهو تقرير فضل يوسف من طهارةٍ وزكاءٍ وجعل الله تلك الرؤيا **تنبيهاً** ليوسف بعلو شأنه؛ ليتذكَّرها كلما حلَّتْ به ضائقةٌ فتطمئنَّ بها نفسُه أنَّ عاقبته طيبةٌ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الله إذا أراد أمراً من الأمور العِظام قدَّم بين يديه مقدِّمةً توطئةً له وتسهيلاً لأمره واستعداداً لما يَرِدُ على العبد من المشاقّ؛ لطفاً بعبده، وإحساناً وقد كانت الرؤيا مقدِّمةً لما وصل إليه من الارتفاع في الدُّنيا[3].
5. في الآية **ملحظٌ** جديرٌ بالتنويه بأنَّ أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض هي الكواكب؛ فإنَّهنَّ أشرفهنَّ منظراً، والشمس والقمر أشرفهنَّ معتبراً، واحتج قومٌ بالآية على أنَّ الكواكب في الرؤيا تدلُّ على قوم أشراف **إيماءً**؛ وذلك جائزٌ[4]
6. إنَّما أخبر يوسف أباه؛ لأنَّه علم بإلهامٍ أو بتعليمٍ سابقٍ من أبيه أنَّ للرؤيا تعبيراً، وعلم أنَّ الكواكب والشمس والقمر **كنايةٌ** عن موجودات شريفة، وأنَّ سجود المخلوقات الشريفة له **كنايةٌ** عن عظمة شأنه، وعلَّم أنَّ الكواكب **كنايةٌ** عن موجودات متماثلة، وأنَّ الشمس والقمر **كنايةٌ** عن أصلين لتلك الموجودات، **فاستشعر** على الإجمال دلالة رؤياه على رفعة شأنه، وفي الآية **دلالةٌ إشاريةٌ** على أنَّ هذه الأجرام المُشاهدة من الكواكب النيّرة لا تصلحُ للألوهية؛ لأنَّها مخلوقةٌ مربوبةٌ مصنوعةٌ مُدبَّرةٌ، مُسخَّرةٌ ساجدةٌ، وفي ذلك ردٌّ على مَن عبدها من جهلة البشر، دلَّت الآية على أنَّ الرُّؤيا قد تَخرج على غير ما رأى، وقد تخرج على عين ما رأى، فقد رأى سجودَ الكواكب، وخرجت الكواكبُ على الإخوة، والسُّجودُ على الحقيقة، وهو كرؤية إبراهيم في المنام ذبحَ الولد، فخرجَ الولد على الكبش، والذَّبحُ على حقيقة الذبح، فهذا أصلٌ في أنَّ الخطاب قد يخرج والمراد به عين ذلك الخطاب، وقد يخرج لمعنىً فيه، والمراد به غيره. وفيه **إشارةٌ** إلى جواز الاجتهاد، وطلب المعنى في المخاطبات[5].
7. فيه **دلالةٌ** أنَّه قد يقع من الصلحاء عند الغيبة بالنوم أو غيره اطلاع على كثيرٍ من الأسرار، وذلك مستمدٌ من المقام النبوي[6].
8. قوله:**[أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا]** أي: أحدَ عشرَ رجلاً لهم فضلٌ وكمالٌ، ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض، كما يُستضاء بالكواكب؛ لأنَّه لا شيء أضوأ من الكواكب، وبها يهتدى، وإنَّما علم يعقوب أنَّ يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب؛ فالكواكب نورٌ يقتدى بها، فهو من باب **التنبيه**؛ فإنَّه شبَّههم بالكواكب التي يُهتدَى بها في الطرق والمسالك[7].

المسألة الثانية: قوله:**[وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ]**، وفيه ثمانية معانٍ خفيَّةٌ، بيانُها وفق ما يأتي:

1. كان من حقِّ الظاهر تقديم الشمس والقمر على الكواكب بعد إخراجهما من الجنس تقديماً للفاضل على المفضول؛ لكن خُولف هذا الاعتبار بتأخيرهما قصداً، أي: تغايرهما مطلقاً بإخراجهما من الجنس رأساً بحيثُ لا مناسبة بينهما؛ فيقدم الفاضل على المفضول، فذكر الشمس والقمر للترقية والتمهيد؛ فسلك به مسلكاً عُلم منه المقصود، وأدمج التفضيل والاختصاص، أي: كيف

(1) ينظر: النسفي: التيسير في التفسير (310/8)، وابن القيّم: إعلام الموقعين(323/2) وسعيد حوّى: الأساس في التفسير(2633/5).
(2) ابن تيمية: مجموع الفتاوى(50/7)، وابن القيّم: مدارج السالكين(78/2)، والإجماع في التفسير (ص:393).
(3) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص:453) والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير (209/12).
(4) ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية(60/1)، والطوفي: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية(ص:347).
(5) السمرقندي: بحر العلوم(179/2)، وتفسير الطبري(9/13)، والحاكم الجشمي: التهذيب في التفسير(3595/5)، وابن عطية: المحرر الوجيز(408/5)، وابن كثير: البداية والنهاية(212/1)، والبقاعي: نظم الدرر(15/10) وابن عاشور: التحرير والتنوير(209/12) وأحمد شكري: التفسير المنهجي(10/9).
(6) صحيح البخاري كتاب التعبير . باب رؤيا الصالحين، حديث رقم(6983)، وابن حجر: فتح الباري (287/16).
(7) الجُرجاني: دُرج الدُّرر (122/2)، والزمخشري: الكشاف(445/2)، وتفسير الرازي(92/18) والنسفي: مدارك التنزيل(96/2) وتفسير الماتريدي(206/6).

أخَّرهما وموضـــعهما التقديم؟ وأُجيب بجوابين: أحدهما: فيه التزام التأخير؛ لإفادة المبالغة في التغاير، وثانيهما: أنَّ الواو لا توجب الترتيب؛ لأنَّ مقتضـاها الجمعية، وأفاد العطف الدال على المغايرة **التنبيهَ** على أنَّهما من جنس أشرف، فلما عطف دلَّ على فرط اختصـاصٍ واهتمامٍ بشأنهما لزيادة الفائدة لإخراجهما عن ذلك الجنس، وتخصـيصـهما بالذِّكر وعدم الإدراج في عموم الكواكب؛ لاختصـاصـهما بالشرف؛ ولأنَّ سـجودَهما أبلغُ وأعلى كعبا، وفيه: **إشـارةٌ** إلى أنَّ التأخير إنَّما هو من باب الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى، ولا يَبعد أن يكون ذلك **إشارةٌ** إلى تأخر ملاقاته لأبويه عن ملاقاته لإخوته، كما هو الواقع[1].

2. تقديم الشمس على القمر لما جرت عليه عادة القرآن؛ وكان ذلك لكون الشمس أعظم جِرماً، وأسطعَ نوراً، وأكثرَ نفعاً من القمر، وإنَّما أورد الكلام على هذا الأسلوب، ولم يطو ذكر العدد؛ لأنَّ المقصود الأصلي أن يتطابق المنام، ومَن هو في شأنهم، وبترك العدد يفوت ذلك، وفيه: **إشـــارةٌ** إلى أنَّ رؤية ظهور الشـــمس والقمر للنَّاس في زمنٍ واحدٍ ممتنعةٌ في الواقع، وكانت ليوســف معجزةٌ، وعُبِّرت الشمس بأُمِّه، والقمر بأبيه اعتباراً للمكان والمكانة، فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الأب والأمَّ مَظِنةُ التعظيمِ والتكريم، وشبَّه الأبوَين بالشـمس والقمر؛ لأنَّ بهما جميع منافع الخلق؛ لذلك كان للأبوين مكانةٌ عظيمٌ **وانتزع** بعضُ النَّاس من تقديم الشـمس على القمر وجوب برِّ الأم وزيادته على برِّ الأب وكان الكواكب في التأويل **كنايةٌ** عن إخوته؛ لأنَّه يُســتضـــاء بالإخوة كما يُستضاءُ بالكواكب، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الأخ سندٌ في الحياة، وضياءٌ، ورأى الشمس والقمر **كنايةٌ** عن أبيه وأُمِّه[2].

3. أعاد لفظة:**[رَأَيْتُهُمْ]** توكيداً لطُول الفصـــل والكلام، وتطريةً للعهد وتنويعاً للحديث، ويمكن أنَّ يُقال: **إشـــارةٌ** إلى أنَّه ذكر الرؤية الأولى لتدل على أنَّه شـاهد الكواكب والشـمس والقمر، والثانية لتدل على مشـاهدة كونها سـاجدةً له، أي: لأنَّ الأولى تتعلق بالذات، والثانية بالحال، فإنَّه رآهم في النوم، ورآهم يسجدون له، فالأوَّل لرؤية أعيانهم، والثاني لرؤية فعلهم[3].

4. تقديم الجار والمجرور:**[لِي]** على متعلِّقه**[سَـــاجِدِينَ]**؛ لإفادة الاختصـــاص، وإظهار العِناية، والاهتمام بما هو الأهمُّ، وهو ذِكرُ يوسف، مع ما في ضِمنه من رِعاية الفاصـلة، والمعنى: أي: سـاجدين لأجلي، وقوله:**[لِي سَـاجِدِينَ]** أراد السـجود المعروف حقيقةً تكرمةً له، ولم يقل: رأيتها إليَّ سـاجدةً، وإنَّما قال: والشـمسَ والقمرَ رأيتُهم في مَنامي سُـجوداً لي، وقال:**[رَأَيْتُهُمْ]**، ولم يقل:(رأيتها)؛ لأنَّه وصفَهم بالسُّجود الذي هو فعل العقلاء من بني آدم، وفي الآية **استعارةٌ**؛ لأنَّ الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل، فكان الوجه أن يقال: ساجدة، ولكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل جاز أن توصف بصفة مَن يعقل، فقال:**[سَاجِدِينَ]** جُمع جَمع العقلاء لاعتبار فعل العقلاء، وهو السـجود، ولأنَّ تأويلَه أبواه وإخوته، وفيه **إشـــارةٌ** إلى أنَّ هذه الجمادات قد تعقل معنى السجود؛ لذلك وقع منها فعل السجود الخاص بالعقلاء، وفي هذا إثبات التمييز والإدراك في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله:**[وَإِنْ مِنْ شَـيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ]** {الإسراء:44} والصحيح أنَّها تسبِّح حقيقةً، يجعل الله فيها تمييزاً بحسبه والسُّجود هو المعهود، وقد ذهب بعضُ العلماء الى أنَّ الكواكب أحياء ناطقة، واستدل بالآية، وكثير من ظواهر الكتاب يشهد لهم، فالكائنات كلُّها تُسبِّحُ لله، وليس في القول بذلك إنكار ما هو من ضروريات الدِّين[4].

5. قوله:**[سَاجِدِينَ] دليلٌ إشاريٌّ** على أنَّ الصلاة أفضل الطاعات، وأعظم العبادات؛ لأنَّ السجود، أخصُّ أوصاف الصلاة[5].

6. فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الرؤيا حالةٌ شريفةٌ، ومنزلةٌ رفيعةٌ، وتكون الرؤيا من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث وأداء الأمانة وهي من صفات يوسف وهي من النبوة؛ لأنَّ فيها ما يعجز ويمتنع، كالاطلاع على شيء من علم الغيب[6].

---

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف(443/2)، وأبو حيان: البحر المحيط(281/5)، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(252/4)، والشوكاني: فتح القدير (7/3).
(2) ينظر: تفسير الطبري(12/13)، وتفسير الماتريدي(206/6) وتفسير النسفي(308/8) وتفسير ابن عطية(409/5).
(3) ينظر: الزمخشري: الكشاف(443/2)، وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير (305/8).
(4) ينظر: النووي: المِنهاج في شرح صحيح مسلم(26/15)، وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير (305/8)، والألوسي: روح المعاني(371/6)، وأبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير (280/5)، وتفسير الشعراوي(20/10).
(5) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري(324/2)، والشعراوي: خواطر إيمانية(20/10).
(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(122/9).

7. فيه **دلالة عقدية** بأنَّ بعض الرؤى تحمل نبوءات عن المستقبل، والرؤيا هي نوعٌ من إرهاصات النبوة، والإرهاص أمرٌ خارقٌ للسُّنن الكونية يقع بين يدي الحدَث تمهيداً وتوطئةً تأسيساً؛ فإنَّ الكلام العظيم له مقدمات **تُؤذن** بتعظيمه للاعتناء به[1].
8. فيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ لا يُرى في المنام إلا ما يصحُّ إدراكه في اليقظة، ولذلك لا يُرى في المنام المستحيل، وإنَّما يرى الجائزات المعتادات، فالسجود من الجمادات ممكنٌ؛ فإنَّ الشمس تسجد تحت العرش حقيقةً، والآية **إشارةٌ** إلى أنَّ المنامات دلالات، والدلالات منها ما هو جليٌّ صريحٌ، ومنها ما هو خفيٌّ يحتاج إلى تفهيمٍ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الاعتداد بالرؤيا من أمور النبوة، وأنَّ الرؤيا إنَّما يظهر تعبيرها بعد حينٍ؛ حتى تكون البهجة أتمَّ[2].

المطلب الثاني

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ {يوسف:5}.

وتنتظم دلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في ثلاث مسائل، بيانُها على النحو الآتي:

المسألة الأولى: قوله:**[قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ]**، وفيه تسعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. قوله:**[يَا بُنَيَّ]**، منادى مصغر؛ صغَّره لصغر السن، وللشفقة، ويُسمَّي هذا تصغير تحبيب، وتقريب وتلطيف وتدليل، وخطاب تحنينٍ، وفيه **كنايةٌ**، **وبدلٌ** على القرب من القلب, ويراد به مع عظم شأنه، أنَّه صغيرٌ لا إرادة التحقير، والنِّداءُ مع حضور المخاطَب مستعملٌ في طلب إحضار الذِّهن اهتماماً بالغرض المخاطَب فيه، وكلمة:**[بُنَيَّ]** بما فيها من حنانٍ وعطفٍ يُفهم منها **إيماءً** أنَّ يوسف مازال صغيراً، وأنَّ الصغير ليس له ذاتية منفصلة عن أبيه، فالأب له حقُّ الولاية والتصرف، فالأب أصلٌ والولد فرع، والفرع تابعٌ للأصل، وفيه أيضاً **كنايةٌ** عن إمحاض النُّصح له[3].
2. فيه **دلالةٌ تنبيهيةٌ** أنَّ شفقة الآباءِ وافرةٌ، وحسدَ الإخوةِ ظاهرٌ، ولهذا تُقبلُ شهادةُ الأخِ للأخِ؛ لأنَّه لا تُهمةَ فيه، ولا تُقبلُ شهادةُ الأب للابن، ولا شهادةُ الابن للأب أو الأُمِّ؛ للتُّهمةِ عند عدم وجود القرائن؛ لأنَّ يعقوب نهى يوسف أن يقصَّها على إخوته، وأخبر أنَّهم إذا علموا بذلك كادوه، ولم ينهه بمثله في أُمِّه؛ وإنَّما كان كذلك؛ لما ينتفع الولد بمال والديه، والوالد بمال ولده، ولا ينتفع الأخ بمال أخيه، وكلُّ من انتفع بمال آخر أُتُّهم في شهادته له، ولم تُقبل شهادته، وكلُّ من لم ينتفع به قُبلت[4].
3. وتدلُّ الآية على أنَّه قد يجب في بعض الأوقات إخفاء فضيلةٍ؛ تحرزاً من ظالمٍ، وتدلُّ على أنَّ للشيطان تأثيراً في المكائد[5].
4. فيه ثبوت الرؤيا وجواز تعبيرها، وأنَّها تتحققُ ولو بعدَ سنواتٍ، وفيه **تلميحٌ** أنَّ النفس فيها حواس ظاهرة، ومشاعر باطنة[6].
5. تدلُّ الآية على أنَّ الرؤيا ليست بشرى على الإطلاق؛ فإنَّ الرؤيا الصادقة قد تكون منذرةً من قِبل الله لا تسرُّ رائيها، وإنَّما يريها اللهُ المؤمنَ رفقاً به ورحمةً؛ ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإنْ أدرك تأوَّلها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك[7].
6. يُؤخذ من وصية يعقوب أدبٌ، وهو الأمر بكتمان النِّعمة حتى تُوجد وتظهر؛ فإنَّ كلَّ ذي نِعمةٍ محسودٌ، وفيه: **دلالة** على مبدأ السرية الواجب اتخاذه عند كلِّ إنسانٍ ذي شأنٍ، فليس كلُّ ما يُعلم يُقال، وفيه **إشارةٌ** إلى كتم الأسرار عن أهل الفساد، وجواز

---

(1) ابن حجر: فتح الباري(50/1) وتُحفة المريد: الباجوري(ص:221) وسعيد حوّى: الأساس في التفسير(2633/5) ودراسات في السيرة: ريَّان(ص:36).
(2) ينظر: الرازي: التفسير الكبير(89/18)، وابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (300/16)، وطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن (317/7).
(3) الحوفي: البرهان في علوم القرآن(ص:121)، وأبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير(281/5)، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(252/4)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(212/12)، والشعراوي: خواطر إيمانية(21/10)، وصلاح الخالدي: القصص القرآني(89/2).
(4) تفسير الماتريدي(207/6)، وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير(311/8).
(5) الحاكم الجشمي: التهذيب في التفسير(3598/5).
(6) البقاعي: نظم الدرر(17/10)، وأحمد شكري: التفسير المنهجي(11/9).
(7) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(127/9).

ترك إظهار بعض النِّعمة، وإنْ كان اللهُ قد أمر بإظهار النِّعم، بقوله:**[وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]** {الضُّحى:11} فالتحدث بالنِّعم لا يكون إلا لأخٍ حميمٍ، والآية أصلٌ في ألا تقص الرؤيا على من لا يُحسن التأويل فيها؛ لأنَّها من النبوة، ولا يتلاعب بالنبوَّة، **ودليلٌ** على أنَّ أمر الرؤيا مشكلٌ، فلا ينبغي أن تقصَّ إلا على شفيقٍ ناصحٍ أمينٍ(1).

7. وفيه **دلالةٌ إشاريةٌ** أنَّ إخوة يوسف كانوا علماء حكماء وعارفين بتعبير الرُّؤيا؛ لأنَّهم لو كانوا لا يعرفون تأويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لينهاه عن أن يقصَّ على إخوته؛ لأنَّه لو قصَّها أو لم يقصَّها إذا لم يعلموا سواء، وظاهر الآية أنَّ يوسف لم يقصَّ رؤياه على إخوته، وهو المناسب لكماله الذي يبعثه على طاعة أمر أبيه، ووقع في الإسرائيليات أنَّه قصَّها عليهم فحسدوه، وهذا مما لا يُلتفت إليه لضعفه، ولم يأتِ مُسنداً(2).
8. علم يعقوبُ أن تلك الرؤيا **تُؤذن** برفعةٍ ينالها يوسف على إخوته، وفيه **دلالة** على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخافُه عليه، **والتنبيهُ** على بعض ما لا يَليقُ، ولا يكون ذلك داخلاً في الغيبة، وفي الآية **إيماءٌ** إلى أنَّ رضى الخلق غير مقدورٍ(3).
9. فيها **دليلٌ واضحٌ** على معرفة يعقوب بتأويل الرؤيا؛ فإنَّه علم من تأويلها أنَّه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه؛ فإنَّ الرجل يَود أن يكون ولدُه خيراً منه، والأخ لا يَود ذلك لأخيه، ويدلُّ على أنَّه كان أحسَّ من بنيه بُغض يوسف، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوفاً أن تغل بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، وفيه مشروعية التحذير ممَّن يُخشى إيذاؤُه(4).

قال الباحثانِ: في الآية معنىً خفيٌّ، أنَّه من أراد في إنجاح نفسه فشلاً لغيره، فقد مهَّد الطريقَ للعكس الصحيح.

المسألة الثانية: قوله: **[فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ]** ، فيه سبعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. **ضمَّنَ** قوله:**[فَيَكِيدُوا لَكَ]** معنى ما يتعدى باللام، فكأنَّه قال: فيحتالوا لك بالكيد، **والتضمين أبلغ** لدلالته على معنى الفعلين، فيكون آكد وأبلغ في التخويف، وللمبالغة أكَّد بالمصدر:**[كَيْدًا]** أي: يفيد هذا التضمين تحقيق الفعلين الكيد والاحتيال، وإسناد الكيد الى الإخوة باعتبار الغالب، والمعنى: فيحتالوا لإهلاكك حيلةً عظيمةً لا تقدر على التفصي عنها أو خفيةً لا تتصدى لمدافعتها، وهذا أوفق بمقام التحذير، والكيد: إخفاء عمل يضرُّ، **والتنوينُ للتعظيم** والتهويل زيادةٌ في تحذيره من قصِّ الرؤيا عليهم، فالآية تدلُّ على أنَّه قد كان لهم علمٌ بتعبير الرؤيا وإلا لم يعلموا من هذه الرؤيا ما يُوجب كيداً وغضباً(5).
2. في الآية **دليلٌ** على أنَّه لا نهي عن الغيبة للنصيحة، بل هي مما يُندب إليه؛ فإنَّه قد استثنى العلماء من الغيبة أموراً ستةً: مُتظلم، ومعرِّف، ومحذِّر، ومستفت، ومجاهر بفسقٍ، ومستعين على إزالة منكرٍ، وفيه: **إشارة** أنَّه لا يُعدُّ إخوة يوسف من الأشرار؛ لأنَّهم هم أصول الأسباط، فهم ليسوا أشراراً بالسَّليقة(6).

قال الباحثانِ: الأصل في الإنسان ألا يصنع له أعداءً، بِناءً على المنهجية القرآنية القائمة على التغيير لا التعيير، والتربية والمعالجة، لا التعرية والمعاداة، والنصائح لا الفضائح، وعلى التحذير لا التغرير؛ فالسب والشتم أوَّل مسلكٍ في صناعة الأعداء.

3. هذه الفاصلة القرآنية واقعة موقع التعليل للنهى عن قصِّ الرؤيا على إخوته؛ وعداوة الشيطان لجنس الإنسان تحمله على أن يدفعهم إلى إضرار بعضهم ببعضٍ، أي: ظاهر العداوة؛ لما فعل بآدم وحواء، ففيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الشيطان يورِّط ويوسوس(7).

---

(1) ينظر: الجصَّاص: أحكام القرآن(480/4)، والبغوي: شرح السُّنة(213/12)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(127/9), والبقاعي: نظم الدرر(18/10).
(2) تفسير ابن عطية(410/5)، وتفسير ابن الجوزي(414/2)، وتفسير البقاعي(17/10) وتفسير ابن عاشور(214/12)، وتفسير السعدي(ص:454).
(3) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية(60/3)، وأبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير(281/5)، وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(14/11).
(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(127/9)، وابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم(469/2)، وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(17/11).
(5) ينظر: تفسير الرازي(91/18)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(213/12)، وطنطاوي: التفسير الوسيط(318/7).
(6) أبو حيان: البحر المحيط(281/5)، والبقاعي: نظم الدرر(17/10)، والصنعاني: سبل السلام(2052/4)، والشعراوي: خواطر إيمانية(23/10).
(7) تفسير الماتريدي(208/6)، والنسفي: التيسير في التفسير(310/8)، والزمخشري: الكشاف(444/2) ومحمود الزهار: التيسير في فَهم التفسير(65/3).

4. وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ العدوَّ اسمٌ لمن يأمرُ بمعصية الله، فالتعقيب بهذه الفاصلة فيه **دلالةٌ** أنَّ المؤمن إذا غفل عن الشيطان أوقعه في المخالفة؛ وليعلم أنَّه ما حذَّره إلا من نزغ الشيطان في نفوس إخوته، فلم يزل الشيطان يُزيّن للإنسان الباطل، ويستدرجه حتى يُوقعه في أقبح القبائح، وفيه: أنَّ يعقوب ذكرَ الشيطان؛ لأنَّه كان يعلم أنَّهم يفهمون التأويلَ؛ لأنَّ البيت كان بيتَ نبوةٍ وعلمٍ، فيتخوف على يوسف، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الدِّين النصيحة؛ فقد أراد يعقوب أن يُبصِّر يوسفَ بأنَّ الشيطان عدوٌّ مضلٌّ؛ فقد يُزيّن لإخوته السعي في هلاكه؛ لذلك أكَّد اللهُ أَمْرَ العداوة بين الشيطان والإنسان وأعاد، وأبَّد ذِكرَها؛ لِشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدوِّ، وفيه إقرارٌ من يعقوب بتأثير الشيطان على رغم من أنَّهم في كَنف نبيٍّ[1].
5. الآية **دليلٌ** على وجود الشياطين وأنَّهم اسمٌ لأشرار الجنِّ والإنس والحيوان، وأنَّ شياطين الإنس هم أضرُّ من شياطين الجنِّ[2].
6. الآية **دلالة** أنَّ المسلم مُبتلى بين خمس شدائد: مؤمن يَحسده ومنافق يُبغضه وكافر يُقاتله وشيطان يُضله ونفس تُنازعه[3].
7. وفيه مشروعية كتمان بعض الحقائق في عالم السياسة إنْ ترتب على إظهارها شيءٌ من الأذى، وأنَّ توطين النفسِ على المصيبة مُعينٌ على الاحتمال والصبر وفيه **إشارةٌ** أنَّ الرؤيا حالة يكرم الله بها بعضَ عباده، فيكشف لهم عن بعض الغيب.

أشارت الآية إلى أنَّه في داخل المِحنة مِنحةٌ؛ فقد قدَّر الله ليوسفَ مستقبلاً عظيماً زاهراً، يَعْبُرُه يوسفُ وسطَ سلسلةٍ من الابتلاءات والمِحن الكِبار، وهو لا يعلمُ أنَّ الله أراد به خيراً؛ فأنَّ التقدير من عالم الغيب، ولا يطلع عليه إلا الله[4].

المطلب الثالث

دَلالاتُ الألفاظ على المعاني الخفيَّة في الآية السادسة

قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ {يوسف:6}.

وتنتظم دلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في أربع مسائل، بيانُها على النحو الآتي:

المسألة الأولى: قوله:**[وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ]**، وفيه سبعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. في الآية ثناء من الله على يوسف، فقد كان يوسف أعلم النَّاس بتأويل الرؤيا، وفيها **إشارةٌ خفيةٌ**، أي: كما سُخرت لك تلك الأجرام العِظام يُسخر لك وجوه النَّاس مذعنين لطاعتك خاضعين لك، ومراده بيان إطاعة أبويه وإخوته له، أي: وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرفٍ وعزٍّ، كذلك يجتبيك ربُّك للنبوَّة[5].
2. الإشارة في قوله:**[وَكَذَلِكَ]** إلى ما دلَّت عليه الرؤيا من العِناية الربانية به، **وفيه تشبيهٌ**، والتشبيهُ تشبيهُ تعليلٍ؛ لأنَّه تشبيهُ أحدِ المعلولين بالآخر؛ لاتحاد العلَّة، والاجتباء ما ليس للمخلوق فيه أثرٌ، فما يحصل للعبد من الخيرات لا بتكلفٍ فهو اجتباء، وهو اختيار معالي الأمور، وقوله:**[يَجْتَبِيكَ]** **إشارةٌ** إلى أنَّ النبيَّ أفضل الخلائق عند الله؛ لأنَّ أصل اجتبى: اختار الشيء وحصَّله لنفسه، ولا يُحصِّل أحدٌ لنفسه شيئاً إلا ما يراه الأفضل، وقوله:**[رَبُّكَ]** في ذكر الربِّ مضافاً إلى ضمير المخاطب فيه من اللُّطف والعِناية والرعاية، وفي الآية **إشارةٌ عقديةٌ** بأنَّ النبوَّة والرِّسالة اصطفاءٌ ربانيٌّ، واجتباءٌ رحمانيٌّ، واختيارٌ إلهيٌّ، وأنَّ أياً

(1) ينظر: حادي الأرواح: ابن القيّم(60/1)، فتح الرحمن: عبد المنعم تُعيلب(1555/3)، وتفسير طنطاوي(318/7).
(2) السمرقندي: بحر العلوم(179/2)، وتفسير الرازي(83/1)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم(15/1)، والتفسير المنهجي(10/9).
(3) يُنظر: صحيح البخاري في كتاب الرقاق . باب حُجبت النَّار بالشهوات، حديث رقم(6487)، وفتحي يكن: قوارب النجاة في حياة الدُّعاة(ص:12).
(4) تفسير أبي السعود(253/4) وتفسير الألوسي(378/6) والمُختصر في تفسير القرآن(ص:236) وطنطاوي: التفسير الوسيط(319/7).
(5) ينظر: الزمخشري: الكشاف(444/2)، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(253/4).

منهما لا يكون أمراً مُكتسباً بحالٍ من الأحوال، وفي الآية **إيماءٌ** وردٌّ على مَن زعم من أهل الأهواء بأنَّ النبوَّة أمرٌ مكتسبٌ تستعد له النفوس بأنواع الرياضات، وأنَّها حِرفةٌ من الحِرف، كالولاية والسياسة[1].

3. فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الله يصطفي يوسف على أشراف الخلائق، وسراة النَّاس قاطبةً، ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة، و**إشارةٌ** إلى إنَّها رؤيا مُفرحةٌ مُنبئةٌ بأنَّه سيكون له شأنٌ عظيمٌ، ومستقبلٌ مجيدٌ زاهرٌ باهرٌ[2].
4. في الآية **إشارة** أنَّ الله لا يُخصِّصُ شيئاً ولا يُفضلُه ويرجِّحُه إلا لمعنىً يقتضي تَخصيصَه وتفضيلَه وذلك ما حصل ليوسف من فضائل وابتلاءات وخيرات، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ ولد إسحق الذين هم بنو إسرائيل أفضلُ العجمِ لما فيهم من النبوَّة والكتاب[3].
5. فيه ردٌّ على مَن زعم أنَّ الذوات متساويةٌ، فإنَّ ذات النبيِّ غيرُ مساويةٍ لذات غيره، فذوات ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملةٌ على صفاتٍ، وأمورٍ قائمةٍ بها ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها الله، وهو الذي فضَّلها بتلك الصفات، وخصَّها بالاختيار، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ منصب النبوَّة أعلى من جميع المناصب الدِّينية والدُّنيوية، وكلُّ الخلقِ دون درجة الأنبياء، فهذا من إتمام النِّعمة عليهم؛ لأنَّ جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب[4].
6. قوله:**[رَبُّكَ]**، فيه **دلالةٌ إيمانيةٌ** أنَّ العبد إذا تأمل أحوال الخلائق، رأى هذا الاختيار الرباني والاصطفاء والتخصيص فيه دالاً على ربوبية الله، وكماله، وعلمه التامّ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الله أعلم بمواقع اختياره، ومَحَالّ رضاه[5].

قال الباحثانِ: قوله:**[رَبُّكَ]** أي: أنَّ الله خالقٌ مربٍّ متكفلٌ بأرزاق الخلائق، ففيه **إشارةٌ** إلى أنَّ النبوة رزقٌ، وتربيةٌ.

7. علم يعقوب بتعبير الرؤيا ودلالتها على رفعة شأن يوسف في المستقبل، وبأنَّ ذلك **يُؤذن** بنبوة يوسف، وإنَّما أدرك أن رفعة يوسف في مستقبله رفعة إلهية؛ لأنَّه علم أنَّ نعم الله متناسبةٌ فلما كان ما ابتدأه به من النِّعم اجتباءً، وكمالاً تعيَّن أن يكون ما يلحق بها من نوعها، وإنَّما لم يصرح بتفاصيل ما تدلُّ عليه الرؤيا حذراً من إذاعته وبثه وحفظاً للسرية في إنجاح العمل[6].

المسألة الثانية: قوله:**[وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ]** ، وفيه ثلاثة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. المراد: معرفة معاني كتب الله، وسنن الأنبياء، وما غَمض وما اشتبه على النَّاس من أغراض الرؤيا، يُفسرها لهم ويشرحها، ويدلُّهم على مودعات حكمها، والآية تشمل ذلك كله، فكأنَّ يعقوب **أشار** بذلك إلى ما سيقع من يوسف من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن، ورؤيا الملك، وكون ذلك ذريعةً إلى ما يبلغه الله إليه من الرياسة العظمى التي عبَّر عنها بإتمام النِّعمة[7].
2. تدلُّ الآية على نبوة يوسف قطعاً، وأنَّه لا منافاة بين النبوة الدِّينية، والملك الدُّنيوي، ودلَّت على جليل قدره، وشريف منصبه[8].
3. فيه **إشارة** إلى النبوة، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ مآل الحوادث إلى قدرة الله، وفيه **إيماء** إلى كيفية الاستدلالِ بأصناف المخلوقات على قدرة الله[9]. وقال الباحثانِ: وفي الآية دليلٌ على أنَّ الوجود متفاضلٌ متنوعٌ، بعضُه أفضلُ من بعضٍ.

المسألة الثالثة: قوله:**[وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ]** ، وفيه خمسة معانٍ خفيَّة، بيانُها كما يأتي:

---

(1) ينظر: ابن القيّم: مدارج السالكين(438/4)، وتفسير الألوسي(377/6)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(217/12)، ووليد العامودي: منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة(ص:66)، وعثمان حسن: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد(614/2).

(2) أبو السعود: إرشاد العقل السليم(253/4)، والشعراوي: خواطر إيمانية(25/10).

(3) ابن قيّم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد(54/1)، و ناصر بن سليمان العمر: جزيرة العرب بين التشريف والتكليف(ص:9).

(4) الخازن: لباب التأويل(513/2)، و ابن القيّم: زاد المعاد في هدي خير العباد(53/1)، ونور الدِّين اليوسي: المحاضرات في اللُّغة والأدب(ص:14).

(5) ابن القيّم: زاد المعاد(43/1)، وابن قيّم الجوزية: مِفتاح دار السعادة(59/1).

(6) الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(217/12).

(7) الزمخشري: الكشاف(445/2)، وأبو حيان: البحر المحيط(282/5)، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(253/4)، والشنقيطي: أضواء البيان(ص:422).

(8) الحاكم الجشمي: التهذيب في التفسير(3597/5)، وأبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير(282/5).

(9) ينظر: الزمخشري: الكشاف(445/2)، وابن عادل: اللباب في علوم الكتاب(18/11) وطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن (320/7).

1. الاقتصار في المشبَّه به على ذكر إتمام النِّعمة من غير تعرضٍ للاجتباء من **باب الاكتفاء**؛ فإنَّ إتمام النِّعمة يقتضي سابقة النِّعمة المستدعية للاجتباء لا مَحالةَ، والتشبيه في قوله:**[كَمَا أَتَمَّهَا]**، تذكيرٌ ليوسف بنِعم سابقةٍ، فهو تشبيهٌ مرسلٌ مجملٌ[1].
2. قوله:**[وَيُتِمُّ]** بأنَّ يضم إلى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها، **وتوسيط ذكر التعليم** المذكور بينهما؛ لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ومن كون أثره وسيلة إلى تمام النِّعمة[2].
3. قوله:**[آَلِ يَعْقُوبَ] دليلٌ قويٌّ** على أنَّ الله سيُعطي بني يعقوبَ كلَّهم النبوة، ويجعلهم أنبياء؛ فالاستدلال على نبوة إخوة يوسف يكون من وجهٍ حسنٍ لطيفٍ، وهو أنَّ الله إنَّما ذكر آل يعقوب في سياق التَّمدُّح والثناء، ثم عند بعض العلماء أنَّ إخوة يوسف صاروا أنبياء؛ لقوله:**[وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ]** {النساء:163}، والأسباط: هم ولد يعقوب، وهم اثنا عشر ولداً وذريتهم، ومما يدلُّ على نبوة إخوة يوسف أيضاً أنَّه رآهم كواكب نيرةً، والكواكبُ فيها النورُ والهدايةُ الذي هو من صفات الأنبياء، فإنْ لم يكونوا أنبياء فإنَّهم علماءٌ هداةٌ، وإنَّ ما صدر عنهم إنَّما صدر قبل الاستنباء، ولا يستحيل في العقل زلةُ نبيٍّ، وممن قال به: ابنُ زيدٍ، وأبو القاسم البغوي، قالوا: نُبئوا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا[3].
4. قوله:**[إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ]**،الاسمان الكريمان عطف بيان لـ:**[أَبَوَيْكَ]**، والتعبير عنهما بأنَّهما أبوان ليوسف، مع أنَّ إبراهيم جدُّ أبيه، وإسحاق جده؛ **للإشعار** بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام، و**للمبالغة** في إدخال السرور على يوسف؛ وتذكير معنى بأنَّ الولد سرُّ أبيه؛ ليطمئن قلبُه بما أخبر به في ضمن التعبير الإجمالي لرؤياه، وفيه: أنَّه سمَّى الجد وأبا الجد أبوين؛ لأنَّهما في عمود النسب أصلٌ أصيلٌ؛ ولأنَّهما في حكم الأب في الأصالة، وقوله:**[إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ]**، فيه جواز ذكر الولد الكبير أباه باسمه المجرد، من غير كُنيةٍ، أو لقبٍ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ ولد إسحق، وهم بنو إسرائيل أفضلُ العجمِ، لما فيهم من النبوَّة والكِتاب، لكنَّ العرب أفضلُ من العجم، وقوله:**[عَلَى أَبَوَيْكَ]** فيه دلالة على أنَّ الجد أبٌ؛ فإنَّ الجدَّ الأعلى يُسمَّى أباً، وهو صحيحٌ فإنَّ الجدَّ يُسقط الإخوة والأخوات من جميع الجهات، كما يسقطهم الأب، وبدأ بأقدمهم؛ لأنَّه أصل هذه المِلَّة وتلقَّاها عنه أبناؤه، وسمَّاهم ليُبيّن أنَّه من سُلالةٍ كريمةٍ كلها أنبياء، وكما ذكر آباءَه تعليماً بفضلهم، وإظهاراً لسابقية الصلاح فيه، وأنَّه متسلسلٌ من آبائه، وقد عقله من أول نشأته ثم تأيد بما علَّمه ربُّه فحصل له بذلك الشرف العظامي، والشرف العصامي[4].
5. إتمام النِّعمة إعطاؤه أفضل النِّعم، وهي نِعمة النبوة، مع ضميمة المُلك، فالمراد إتمام نِعمة الاجتباء الأخروي بنِعمة المجدِّ الدُّنيوي، بأنَّ وصل لهم نِعمة الدُّنيا بالآخرة، وجعلهم أنبياء في الدُّنيا ومُلوكاً، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ كمال النِّعمة يتحقق بأمرين، أولاهما: رضى الله عن العبد، والآخر هو العلم عن الله، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ النِّعمة لا تسلب من يوسف أبداً، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الكمال المطلق، والتَّمام المطلق في حقَّ البشرِ ليس إلا النبوَّة؛ وعلى هذا فيلزم الحُكم بأنَّ أولاد يعقوب صاروا أنبياء، ثمَّ إنَّ إخوته الذين عادُوه لم يُعادُوه على الدِّين بل عادَوْه عَداوةً دُنيويةً، وحَسدُوه على محبَّةِ أبيه له، وظلمُوه فصبرَ واتقَى[5].

المسألة الرابعة: في فاصلة الآية:**[إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]** ، وفيه أربعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. تصدير الجملة بـ:**[إِنَّ]** للاهتمام لا للتأكيد؛ إذ لا يَشكُّ يوسفُ في علم الله وحكمته, والاهتمامُ ذريعةٌ إلى إفادة التعليل، والتفريع في ذلك **تعريضٌ** بالثناء على يوسف، وتأهُّله لمثل تلك الفضائل والمناقب، وهذه الفاصلة القرآنية **تذييل** بتمجيد هذه النِّعم، **وتنبيهٌ** إلى أنَّ الاجتباء والاصطفاء والاختيار الرباني لا يكون إلا عن علمٍ تامٍّ، وحكمةٍ بالغةٍ؛ فإنَّ الله عليمٌ فيمن يستحق، حكيمٌ فيمن يُعطي، فاللهُ بعلمه اطلع، وبحكمته وضع؛ فقضاء الربِّ في عبده دائرٌ بين العدل والفضل، والحكمة، لا يَخرُج عن

(1) أبو السعود: إرشاد العقل السليم(254/4)، والألوسي: روح المعاني(377/6)، ومحمد علي الصابوني: صفوة التفاسير(44/2).
(2) الزمخشري: الكشاف(445/2)، والنسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل(96/2)، وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(254/4).
(3) ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان(495/14)، وتفسير البغوي(436/2)، وتفسير أبي حيَّان(282/5)، وتفسير أبي السعود(254/4).
(4) ينظر: اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة(1349/7)، والشوكاني: فتح القدير(8/3)، وسيد قطب: في ظلال القرآن(1971/4)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(272/12) وأحمد شكري: التفسير المنهجي(36/9)، والمقدسي: الأحاديث المختارة(249/11).
(5) يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى(21/17)،(213/9) بتصرف، وابن قيِّم الجوزية: إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين(325/2).

ذلك البتة، ومعاني العلم والحكمة مناسبتان للوعد المذكور في أثناء الآية، وتقديم العلم على الحكمة، فيه **إشارةٌ** إلى التقديم والتأخير ؛ فإنَّ التقديم قد يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه، ولا بُدَّ أن يكون التقديم والتأخير تابعاً لمعنى أراده الله، ومن ذلك تقديم العليم على الحكيم؛ لأنَّ الإتقان ناشئ عن العلم(1).

2. الآية **إشارةٌ** إلى أنَّ الله مقدسٌ عن السَّفه والعبث، فلا يضع النبوَّة إلا في نفسٍ قُدسيةٍ، وجوهرة مشرقة علوية، وفيه: **دلالة** على صحة قول السلف: إنَّ الله لم يَخلُقْ، ولم يأمر إلا لحكمةٍ باهرةٍ، فالتعبُّدُ المحضُ بحيثُ لا يكونُ فيه حِكمةٌ لم يقع في الدِّين(2).
3. قوله:**[إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]** ليس في القرآن غيرُه، فليس هذا الموضع من المتشابهات، فلا تكرار لهذه الفاصلة في القرآن كلِّه، والمعنى أنَّ الله فعل ذلك؛ لأنَّه عليمٌ حكيمٌ، وهذان الوصفان مناسبان للوعد الإلهي، وفي الآية **دلالةٌ تنبيهيةٌ** على أنَّ البحث عن كلِّ اسمٍ من أسماء الله الحسنى مسألةٌ شريفةٌ، وفيه: التعرض لعنوان الربوبية لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الأفاعيل(3).
4. هذه آية عبرة بحال يعقوب مع ابنه؛ إذ أشعره بما توسمه من عناية الله به ليزداد إقبالاً على الكمال، وأنَّ النبوةُ اجتباءٌ، وتخصيصٌ، ومكرمةٌ بلا سعي من العبد، وأنَّ التعليم نوعُ اجتباءٍ، والنوع يشبه بالنوع، وتدلُّ على أنَّ النبوة من النِّعم العِظام، وأنَّها ليست بمستحقةٍ، وتدلُّ على جواز بعث أنبياء في وقتٍ واحدٍ، وتفيد الآية أنَّ التشبيه لا يجب أن يكون من كلِّ وجهٍ، وأنَّ النبوة نِعمةٌ تامةٌ كاملةٌ خاليةٌ عن جهات النقصان، فإنَّ جميع مناصب الخلق ناقصة بالنسبة إلى كمال النبوَّة(4).

المبحث الثاني

دلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة من الآية (99 – 101)

المطلب الأوَّل

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية التاسعة والتسعين

قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ**﴾{يوسف:99}.

وتنتظمُ دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في مسألتين، بيانُهما على التفصيل الآتي:

المسألة الأولى: قوله:**[فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ]** ، وفيه خمسة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. في الآية محذوفاتٌ يدلُّ عليها الظاهر، والتقدير: فرحل يعقوبُ بأهله أجمعين، من أرضه بالشام، وساروا حتى بلغوا، وأتوا يوسفَ، فلما دخلوا عليه، ففي الآية **إيجازٌ**، كأنَّهم أسرعوا في ذلك فلذا قال**[فَلَمَّا]** بالفاء، وهو حرفٌ يفيد التتابع والسبب(5).
2. قوله:**[آوَى إِلَيْهِ]** أي: ضمَّ، وأظهر الحفاوة بهما، وأراد بالأبوين: أباه وأُمَّه حقيقةً؛ لأنَّ ذلك هو الأغلبُ في استعمال النَّاس، فقد كانوا يُغلِّبون جهة الأبوة على جهة الأمومة؛ وفي ذلك **إشارةٌ** إلى أنَّ الأصل في النساء السَّتر والقرار في البيوت.
3. وقوله:**[أَبَوَيْهِ]** أبوه وأُمُّه، فهي **إشارةٌ** إلى أنَّ أُمَّه كانت باقيةً على قيد الحياة إلى ذلك الوقت، وأنَّها لم تمت(6).
4. فيه **إشارة** إلى جواز إرسال رسولين في زمنٍ واحدٍ؛ حيث كان يوسف ويعقوب رسولين في آنٍ واحدٍ، كذلك إبراهيم ولوط، وموسى وهارون، ويؤخذ منه أنَّه إذا جاز بعث نبيَّين في وقتٍ واحدٍ وأكثر جاز ذلك في الإمامة؛ لأنَّ النبوة أعلى رتبةً بلا خلافٍ، وبناءً عليه يجوز نصبُ إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار، واتسعت الأقاليم بينهما(7).

---

(1) الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(217/12)، وفضل حسن عبَّاس: البلاغة فنونها وأفنانها . علم المعاني (ص:248).
(2) الرازي: التفسير الكبير(93/18)، ابن تيميَّة: مجموع الفتاوى(144/14)، وابن القيّم: مِفتاح دار السعادة(17/1)، والخازن: لباب التأويل(513/2).
(3) تفسير الرازي(13/1) وتفسير أبي السعود(255/4) وتفسير أبي حيَّان(282/5) والفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز(257/1) وتفسير الشوكاني(8/3).
(4) الرازي: التفسير الكبير(92/18)، والألوسي: روح المعاني(377/6) وابن عاشور: التحرير والتنوير(216/12) والمُختصر في تفسير القرآن(ص:236).
(5) ابن عطية: المحرر الوجيز(538/5)، وابن جُزي: التسهيل لعلوم التنزيل الكلبي(660/2)، والألوسي: روح المعاني(55/7)، وتفسير الشوكاني(76/3).
(6) تفسير الطبري(352/13) وتفسير البغوي(497/2) وتفسير الزمخشري(555/2) وتفسير الرازي(214/18) وتفسير الشعراوي(138/10).
(7) يُنظر: ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم(72/1)، ومجلة مجمع الفقه الإسلامي: تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي(23232/2).

5. وفيه: **إشارة** إلى جواز الالتزام عند القدوم من السفر، وفيه: **إشارة** أنَّ الأنبياءَ لم يكن مِن صفتِهم التَّعظُّم على أحدٍ[1].
6. قوله:**[آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ]** فيه **إشارةٌ** إلى إكرام الأبوين لما يتميزان به من صحبةٍ بالمعروف، وغلَّب الأب في هذه التثنية للذكورة؛ فإنَّ آدم أصلٌ لحوَّاء والزوجة تبعٌ للرجل، ويقال: للأب وللأُمِّ أبوان ولا يقال: أُمَّان؛ لتغليب المذكر على المؤنث وفيه **إشارةٌ** إلى أن انفعالات اللقاء عادةً تُترك لعواطف البشر بلا تقنين تعبُّديٍّ، فهي انفعالات خاصة يكون فيها مزيجٌ من المحبة والاحترام[2].

المسألة الثانية: قوله:**[ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آَمِنِينَ]** ، وفيه خمسة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. قوله تعالى: فيه **دلالةٌ فقهيةٌ** أنَّه ليس لأحدٍ دخولُ ملكِ غيره بغيرِ ضرورةٍ ألجأتْه إليه، أو بغير سببٍ أباح له دخولهَ إلا بإذن ربِّ البيت، لا سيَّما إذا كان فيه متاعٌ، وأتى بالشرط للأمن لا للدخول، وقوله:**[ادْخُلُوا]** صيغة افعل للإكرام، والدخول بمعنى: السُّكنى والإقامة، والمشيئة للتبرك، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الكيفية مقصودة بالأمر كما إذا قلت: ادخل ساجداً كنت آمراً بهما، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ في التركيب معنى الدُّعاء، وظاهر النظم القرآني أنَّ يوسف قال لهم هذه المقالة قبل دخولهم[3].
2. قوله:**[آَمِنِينَ]** الأمن: حالةُ اطمئنانِ النفس، وراحة البال، وانتفاء الخوف، أي: آمنين مما تكرهون، وذكر الأمن؛ لئلا يظنُّ إخوتُه أنَّهم يكونون في مصر كالأسارى والأرقاء، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّهم آمنين من جميع ما ينوب، حتى مما فرطتموه في حقِّي وحقِّ أخي، وأبي، وآمنين من أن يضرهم يوسف بالجرم السالف، فإنَّه قد أسقط حقَّه عفواً وصفحاً[4].
3. وفيه **إشارةٌ تنبيهيةٌ** إلى أنَّ القوم اشتركوا في الدُّخول، ولكن تباينوا في الإيواء، فانفرد الأبوان به؛ لبُعدِهما عن الجفاء، كذا غداً إذا وصلوا إلى الغفران يشتركون فيه، وفي دخول الجنَّة، ولكنَّهم يتباينون في بساط القُربة، فيختصُّ به أهل الصَّفاء دونَ مَن اتَّصفَ اليومَ بالجفاء فالجنَّة منازل، وفيه **إشارة** أنَّ الاستثناء بالمشيئة فيه تيمنٌ وتبركٌ، واقتداءٌ بالأنبياء[5].
4. قول المسلم:**[إِنْ شَاءَ اللهُ]**، أمرٌ مطلوبٌ شرعاً في كلِّ عملٍ ينوي القيام به، ففيه **إشارةٌ** إلى أنَّ تقديم المشيئة بين يدي كلِّ عملٍ مشروعٌ شرعاً، وهي جملةٌ دعائيةٌ جيء بها للتبرك والتيمن، وفيه: دليلٌ على أنَّ استعمالَ الاستثناءِ مُستَحبٌّ في الأحوال كلِّها، وإنْ لم يكن في الأمر شكٌّ، تبرُّؤا عن الحول والقوة إلا بالله[6].
5. وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ كلَّ شيءٍ يجري بمشيئة الله وقضائه وقدره، غَلبتْ مشيئةُ اللهِ المشيئاتِ كلَّها، وغَلَبَ قضاؤه الحِيلَ، وفيه دلالة أنَّ الماضي مَضى بمشيئة الله، وانقضى، وأنَّ المستقبل لا يكونُ إلا أن يشاءَ الله، وإنَّما ذكر الاستثناء في الأمن؛ ولم يذكر في الدخول؛ لأنَّ الدخول منه أمرٌ، وما ذكر من الأمن فهو وعدٌ؛ فهو **إشارةٌ** أنَّه يستثني في الوعد، ولا يستثني في الأمر، **وفيه دلالة أصولية** أنَّ الحُكم المعلَّق بالشرط عدمٌ عند عدم الشرط، وفيه **إشارة** إلى مشروعية الخروج خارج المدينة لاستقبال أهل الكمال والفضل، كالحُجَّاج مثلاً[7].

المطلب الثاني

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الحادية بعد المئة

قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ {يوسف:100}.

(1) أبو حفص النسفي: التيسير في التفسير (493/8)، وابن الجوزي: زاد المسير إلى علم التفسير (474/2).
(2) الحاكم الجشمي: التهذيب في التفسير (3718/5) البقاعي: نظم الدرر (216/10)، وابن القيّم: مِفتاح دار السعادة(42/1) وتفسير الشعراوي(139/10).
(3) الطبري: جامع البيان (252/17) وتفسير ابن عرفة(407/2) والبقاعي: نظم الدرر (217/10) وتفسير الألوسي(55/7).
(4) الرازي: التفسير الكبير (215/18)، والبقاعي: نظم الدرر (217/10)، وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(213/11).
(5) أبو حفص النسفي: التيسير في التفسير (495/8)، والألوسي: روح المعاني(55/7).
(6) تفسير ابن عطية(539/5)، والجشمي: التهذيب في التفسير (3718/5)، وابن تيمية: مجموع الفتاوى(62/8) والصابوني: صفوة التفاسير (70/2).
(7) تفسير الماتريدي(289/6)، والنسفي: التيسير في التفسير (495/8) وابن القيّم: مِفتاح دار السعادة(60/1) وأبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير (647/2).

وتنتظمُ دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في ست مسائل، بيانُهما على التفصيل الآتي:

المسألة الأولى: قوله:**[وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا]**، وفيه ستَّة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. قوله:**[وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ]**، من باب التَّغليب، يريد: أباه وأُمَّه، وقد رفع يوسف أبويه على العرش؛ **إشارةٌ** إلى أنَّه لا يحبُّ أنَّ يتميز عنهم؛ وهذا سلوك رفيع يدلُّ على المحبَّة والتقدير والإكرام، وخصَّ بذكر أبويه بالرفع على العرش؛ لشرفهما ومجدهما؛ على ما يخصُّ الأشراف، وفيه **إشارة** إلى جواز اتخاذ السرير الرفيع والفرش الثمينة، وأنَّ رفع الغير على السرير جائزٌ؛ إذ لو كان لا يَحِلُّ أو لا يُباح ذلك؛ لكان يوسف لا يتخذه؛ ولا كان يعقوب يجلس عليه، **فدلَّ** ذلك منهما أن ذلك مباحٌ، ففي الآيةِ **دلالة فقهية** على أنَّه لا بأسَ بإمساك السرير والجلوس عليه إذا لم يكن للتَّعظُّم والمباهاة، وإنَّما كان للانتفاع والارتفاق ولإمساكِ النَّاس على حدود الآداب إذا نظروا إليه بعين المكانة والمنزلةِ والجاه، فيسهل على الوجيه تنفيذُ أسبابِ المعاملة[1].
2. قوله:**[وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ]** مبالغةٌ في تعظيمهما؛ فإنَّ حقَّ الأبوة عظيمٌ، وفيه **إشارةٌ** إلى وجوب إكرام الأبوين والبر بهما والإحسان اليهما، تكرمة لهما فوق ما فعله بالإخوة تمييزاً[2].

قال الباحثانِ: فيه **إشارةٌ خفيةٌ** أنَّه إذا كان الولد وزيراً في الدولة مثلاً عليه أن يفعل بأبيه هكذا من الإكرام إذا جاء الأب إلى الوزارة، ولا يُعدُّ ذلك من المحاباة، والازدواجية في التعامل.

3. قوله:**[وَخَرُّوا]** أي: أبواه وإخوته، حسبما جاء في الرؤيا فإنَّها تستدعي العموم، والخُرور: السقوط والانحطاط على الوجه من علو إلى الأرض، وفي هذه اللفظة **إيحاءٌ** بسرعة السجود، وسهولته، ومن النَّاس: مَن قال: سجدَ له إخوتُه دون أبويه، وهذا لا يستقيم؛ لأنَّ الرُّؤيا كانت على سجود الكلِّ، ولم يقل: ساجدين؛ لأنَّ إخوته أحد عشر مع أبويه، فلذلك غيَّرَ جمع الكثرة[3].
4. في قوله:**[عَلَى العَرْشِ] إشارةٌ** إلى أنَّ يوسف صار مَلِكاً؛ لأنَّ العرش سرير الملك، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّه لم يصر مَلِكاً مِن غير أصلٍ بل له أصلٌ صميمٌ، ونسبٌ عريقٌ، ذلك صفة كمال أن يعتز الإنسان بأصله الشريف[4].
5. قوله:**[وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا] مشعرٌ** بأنَّهم صعدوا على السرير، ثم سجدوا ليوسف؛ ولأنَّه أدخل في التواضع[5]. وأنَّ السجود بأي معنى كان وقع من الأبوين والإخوة جميعاً، والقلب يميل إلى أنَّه حقيقيٌّ بوضع الجبهة على الأرض، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم على جهة التحية، وهو سجود تشرفة كما سجدت الملائكة تشرفة لآدم، ويحتمل أنَّ الرفع مؤخر عن الخرور، وإنْ تقدم لفظاً **للاهتمام** بتعظيمه لهما، أي: سجدوا له ثم أجلس أبويه على عرش الملك، والخرور إلى السجدة **مشعرٌ** بالإتيان بالسُّجود على أكمل الوجوه، بتعفير الجباه بالأرض، وليس المراد به التواضع، ولم يكن يومئذٍ ممنوعاً في الشرائع، وإنَّما منعه الإسلام لغير الله تحقيقاً لمعنى مساواة النَّاس في العبودية والمخلوقية؛ ولذلك فلا يُعدُّ قَبوله السجودَ من أبيه عقوقاً؛ لأنَّه لا غضاضةَ عليهما منه؛ إذ هو عادتهم في ذلك الزمان، وفيه: ردٌّ على مَن قال: إنَّ السجود كان انحناءً؛ لأنَّه لا بُدَّ من الهويّ؛ لأنَّ الخرور معناه السقوط والوقوع، فقد خرَّ الجميع ساجدين، وهووا واضعين جباههم على الأرض تكريماً ليوسف وتوقيراً[6]، وفي الآية **إيماء** إلى سجود الشكر؛ فإنَّ النبيَّ(ﷺ) كان إذا أتاهُ أمرٌ يَسُرُّه أو بُشِّرَ به، خَرَّ ساجداً[7].

---

(1) ينظر: تفسير الماتريدي(289/6)، وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير(497/8)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(56/13).
(2) تفسير الرازي(217/18) وتفسير ابن جُزيّ(660/2) النسفي: التيسير في التفسير(493/8) وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(213/11).
(3) ينظر: النسفي: التيسير في التفسير(497/8)، وتفسير ابن عرفة(407/2) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب(213/11) والتحرير والتنوير(56/13).
(4) يُنظر: السُّنة: أبو بكر بن الخلال(233/1) وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير(494/8).
(5) الألوسي: روح المعاني(56/7)، ابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(213/11).
(6) أبو القاسم الزَّجَّاجي: مختصر الزَّاهر(46/1)، والدهلوي: حجة الله البالغة(ص:124)، وعبد المنعم تُعيلب: فتح الرحمن في تفسير القرآن(1643/3).
(7) سنن ابن ماجه . باب ما جاء في الصلاة، والسجدة عند الشكر، حديث رقم(1394)،(446/1).

6. وفيه أنَّ يعقوب كان شيخاً، ويوسف شابّ، والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ[1]؛ لكن في الآية **إشارة عقدية** إلى أنَّ يوسف أفضل من يعقوب، وأعلى حالاً؛ لدلالة السجود، وعندنا أنَّ هذا التفسير الخفي متعيَّنٌ؛ لأنَّه لا يُستبعد شرعاً وعقلاً، فالنبيُّ محمدٌ(ﷺ) أفضل من آدم(عليه السلام)؛ لقوله:**[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ]** {البقرة:253}.

ويرى الباحثان: أنَّ الآية رسالةٌ لكلِّ من يُؤتيه اللهُ مكانةً وعِلماً وغنىً أن يردَّ الجميل لأبويه، وأن يرفعَهما حِساً ومعنىً.

المسألة الثانية: قوله:**[وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا]**، وفيه أربعة معانٍ خفيَّة، بيانُها كما يأتي:

1. قوله:**[قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا]**، أي: حقيقةً واقعةً صادقةً، وهو ابتداء تعديد نِعم الله عليه، فقوله:**[حَقًّا]** أي: بمطابقة الواقع لتأويلها، وتأويل ما أخبرتني به أنت تحقق من اجتبائي وتعليمي وإتمام النِّعمة عليَّ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ رؤيا الأنبياء لا بُدَّ أن تصير واقعاً، وفي ذلك ردٌّ على من زعم أنَّ تعبير الرؤيا لا يلزم أن يكون مطابقاً للرؤيا من كلِّ الوجوه[2].
2. لقد رأى يوسف رؤيا فخرجت رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل؛ فهذا **يدلُّ** أنَّ الخطاب إذا قرع السمع يجوز أن يأتي بيانُه من بعد حين وزمان، ويجوز أن يكون مقروناً به، وليس في تأخر بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه، وفيه: أنَّ ما يقع للنبيِّ في المنام لا باطل فيها، ولا لغو، بل وحيٌّ من الله؛ ولأنَّ الأنبياء معصومون من مخايلة الشيطان[3].
3. قوله:**[هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ] مشعرٌ** بأنَّ سجود الكواكب والشمس والقمر، تعبيرٌ عن تعظيم الأكابر من النَّاس، وفي ذهاب يعقوب مع أولاده من فلسطين إلى مصر لأجل يوسف في نهاية التعظيم ليوسف، قوله:**[مِنْ قَبْلُ] إشارةٌ** على قصر الزمن الذي رآها فيه، فقد كانتْ رُؤياه في حال صِباه، وظهرَ تأويلُها بعد، وكان قد رآهم في المنام يسجدون له، فأراه اللهُ ذلك في اليقظة[4].
4. قوله:**[حَقًّا] دليلٌ** على أنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ، وحقٌّ، وتشريعٌ، وفيه **إشارةٌ** أنَّ رؤيا الأنبياء حقائق في الوجود، كما أنَّ رؤيا إبراهيم ذبح ولده صار سبباً لوجوب الذبح في اليقظة، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّه لا مغيِّر لما أخبر اللهُ عنه من خبرٍ أنَّه كائنٌ فيبطل مجيئه، وكونه على ما أخبر؛ فإنَّ ما أخبر به الله واقعٌ نافذٌ حتماً لا يتخلف، ولا مردَّ له[5].

المسألة الثالثة: قوله:**[وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ]** ، وفيه سبعة معانٍ خفيَّة، بيانُها كما يأتي:

1. قوله:**[وَقَدْ أَحْسَنَ بِي]**، أي: أوقع، وناط إحسانه بي، فهذا منحى في وصول الإحسان بالباء، وقد يقال: أحسن إليَّ، وأحسن فيَّ، وهذه المناحي مختلفة المعنى، وألْيَقها بيوسف قوله:**[بِي]**؛ لأنَّه إحسانٌ درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها. أي: عدى فعل الإحسان بالباء مع أنَّ الأصل فيه أن يتعدى بإلى؛ **لتضمنه** معنى اللطف، فهو **يُؤذن** بأنَّه إحسانٌ خفيٌّ، وفيه ثناء على الله شكراً على الإحسان والإنعام، وفيه **إشارةٌ** إلى معنىً حسنٍ، أنَّ الله أحسنَ إلى أهل الزمان بي، حيثُ ملَّكني، ونفعَ النَّاسَ بحسْنِ تدبيري، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ الربَّ لا يفعل سيئةً قطُّ، بل فِعلُه كلُّه حسنٌ وخيرٌ، وعدلٌ[6].
2. باء:**[بِي]** للملابسة، أي: جعل إحسانه ملابساً لي، وخصَّ من إحسان الله إليه دون مطلق الحضور للامتيار أو الزيارة إحسانين، هما يوم أخرجه من السجن، ومجيء عشيرته من البادية، وفيه **إشارةٌ** أنَّ أعمال البرِّ كلُّها لله، وهو الذي يجزي بها، وفيه: **إشارة** إلى أنَّ معنى الإحسان أكثر من الإنعام؛ لأنَّه مشتقٌّ من الحُسن فالشكرية أقوى، وفيه: ذكر يوسف إحسان الله إليه، ومِنَّته، ولم يذكر مِحنته بالتصريح، إنَّما ذكرها **بالتعريض** تأدباً مع الله[7].

---

(1) الرازي: التفسير الكبير(215/18).

(2) تفسير ابن عطية(541/5)، وتفسير أبي السعود(307/4)، والبقاعي: نظم الدرر(217/10)، وتفسير المراغي(43/13)، وتفسير أبي حيَّان(342/5).

(3) تفسير الماتريدي(290/6)، وأبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير(342/5)، والشعراوي: خواطر إيمانية(141/10).

(4) تفسير الرازي(217/18)، وأبو حيان: البحر المحيط(342/5)، وزاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي(474/2)، والبقاعي: نظم الدرر(217/10).

(5) الألوسي: روح المعاني(56/7)، وتفسير المراغي(11/8) وابن عاشور: التحرير والتنوير(57/13).

(6) ابن عطية: المحرر الوجيز(541/5)، وأبو حيان: البحر المحيط(342/5)، وطنطاوي: التفسير الوسيط(417/7)، وروح المعاني الألوسي(57/7)، والشوكاني: فتح القدير(77/3)، النسفي: التيسير في التفسير(498/8)، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية(158/2).

(7) تفسير الماتريدي(290/6)، وتفسير ابن عرفة(407/2)، وابن حجر: فتح الباري(219/5)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(57/13).

3. قوله:**[إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ]** فقد ذكر يوسف نِعمة إخراجه من السجن، وعدل عن نِعمة إخراجه من الجبِّ فلم يذكرها؛ صفحاً عن إخوته، وتناسياً لما جرى منهم، وحتى لا يجرح شعورهم، **وتنبيهاً** على طهارة نفسه، وبراءتها مما نُسب إليه من المراودة، وعلى ما تنقل إليه من الرياسة في الدُّنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل إليه بالخروج من الجبِّ، إلى أن بيع مع العبيد، واستعمالاً للكرم؛ لئلا يذكر إخوته صنيعهم بعد عفوه، فلا يريد يوسف أن يُكدِّر صَفو اللقاء بين الإخوة بذكر الماضي المؤلم؛ لأنَّ من تمامِ الصفحِ ألا يذكرَ ما تقدَّمَ من الذنب، ففي الآية **تنبيهٌ** على الأدب مع الغير، فلم يصرح بقصَّة الجبِّ؛ توقيراً لهم؛ ولأنَّ الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجداً؛ ولأنَّ الإحسان إنَّما تمَّ بعد خروجه من السجن لوصوله للملك وخلوصه التُّهمة واكتفاءً؛ فالنِّعمة بالخروج من السجن إلى المُلك أتمُّ وأكثرُ وأوضح وأكبر وأوفى[1].

4. وقوله:**[إِذْ]** ظرفُ زمانٍ لفعل **[أَحْسَنَ]** فهي بإضافتها إلى ذلك الفعل اقتضت وقوع إحسان غير معدود[2].

5. قوله:**[مِنَ السِّجْنِ]** فيه **توريةٌ وإيماءٌ** للجُبِّ؛ لصدقه على السجن الحقيقي بالمطابقة، وعلى الجُبِّ **مجازاً**، وفيه: **تنبيهٌ** على صحة مَن قال من العلماء: ذِكر الجَفاءِ في محلِّ الصفاء جفاءٌ، وهو قولٌ صحيحٌ[3].

6. فيه **إشارةٌ** على أنَّ فعل العبد خلق الله؛ لأنَّه أضاف إخراجه من السجن إلى الله، ومجيئهم من البدو إلى الله، وهذا **دليلٌ صريحٌ** في أنَّ فعل العبد خلق الله، كسبٌ من العبد، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الخيرَ والشرَّ صادرانِ عن خَلْق الله وقدرته، وقد يُضافُ محاسنُ الأمور ومحامِدُ الأفعالِ إلى الله عندَ الثناء عليه دونَ مساويها ومَذامِّها فلم يُضِفْ سببَ وقوعه في السجن إليه[4].

7. قال:**[وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ]**، ولم يقل: رفع عنكم جهد الجوع والحاجة؛ أدباً معهم، وأضاف ما جرى إلى السبب، ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه، فقال:**[مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ]**؛ فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقَّه؛ ولهذا لم يكن كمال هذا الخُلق إلا للرُّسل، ومن تأمل أحوال الرُّسل مع الله، ومع الخَلق، في خطابهم وسؤالهم يجدها كلَّها مشحونةً بالأدب، قائمة به، قوله:**[الْبَدْوِ]** فقد كانوا أهلَ عمدٍ وأصحابَ مواشٍ ينتقلون في المياه والمناجع، وفيه ردٌّ على مَن قال: إنَّ الله لم يبعث نبياً من البادية، وفيه **إشارةٌ** أنَّ الانتقال من البادية إلى المدينة من نِعم الله الكبرى على الإنسان، وارتقاء في الحضارة[5].

المسألة الرابعة: قوله:**[مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي]** ، وفيه سبعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. أسند النزغ إلى الشيطان **اتساعاً**؛ لأنَّه هو الموسوس به، والدافع إليه، وإلقائه، ولأنَّ في ذلك سِتراً على إخوته، وتأدباً معهم، وتكرماً منه، وفيه تفادٍ عن تثريبهم أيضاً، وذكره تعظيماً لأمر الإحسان، فيه **إشارةٌ** إلى أنَّه من شأن الكريم أن يتناسى الإساءة، ويذكر الإحسان، ويتغاضى عن الزلة، ويحفظ الجميل، فالكريم مسامح؛ حيث لم يعرض بإخوته؛ لأنَّ المجلس مجلس عفوٍ وصفحٍ ومسامحةٍ، يُؤخذ من الآية **استحبابٌ** مجانبة الألفاظ القبيحة، والكلمات المؤذية، والعدول إلى ما لا قُبح فيه عند مخاطبة الأهل والنَّاس؛ فإنَّ أكثر آفات النَّاس من الألفاظ، وذكر يوسف هذا القدر من أمر إخوته ليُبيِّن حُسن موقع النِّعم؛ لأنَّ النِّعمة إذا جاءت إثر شدةٍ وبلاءٍ كانت أحسنُ موقعاً، وفي الآية **إشارةٌ** أنَّ المؤمن إذا امتُحن صبرَ واتعظ، واستغفر، ولم يتشاغل بذمِّ من انتقم منه، وقد قسم النزغ بينه وبينهم، ولم يفضل أحداً من الفريقين ففيه **إشارة أدبيةٌ**[6].

2. فيه **إشارة** إلى أنَّ إيقاع العداوة والبغضاء بين النَّاس هي منتهى قصد الشيطان؛ وهي شرٌّ لا يُحِبُّها عاقلٌ، ونزغ الشيطان بين القوم نزغاً: أي: حمل بعضهم على بعض بالفساد والإغواء والتحريش والتهييج، وفي هذه الآية مَسٌّ لطيفٌ لما حدث في الماضي، وقد نسبه يوسف للشيطان؛ وصَوَّره على أنَّه:**[نَزَغَ]** أي: أنَّه لم يكن أمراً مستقراً على درجةٍ واحدةٍ من السوء؛ فإنَّ ما

(1) ينظر: الجُرجاني: دُرج الدُّرر(145/2)، وتفسير أبي حيَّان(343/5)، وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(216/11).
(2) الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(57/13).
(3) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(267/9).
(4) البيهقي: القضاء والقدر(ص:276) وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية(ص:437)، وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(217/11).
(5) تفسير ابن جُزيّ(661/2) وتفسير أبي حيَّان(343/5) وتفسير البقاعي(218/10) وتفسير الألوسي(57/7) ابن عاشور: التحرير والتنوير(58/13).
(6) ينظر: البقاعي: نظم الدرر(219/10)، وسير أعلام النبلاء: الذهبي(81/8)، ونزار ريَّان: دراسات في السيرة(ص:62).

فعله الشـــيطان هو مجرد وَخْزة خفيف، فالآية **تنبيهٌ** إلى ما يفعله الشـــيطان، فأضـــافَ إليه تمهيداً لعذْرِ الأخوة، وعبَّر بالماضـي**[نَزَغَ]** ليفهم أنَّه انقضـى والنزغ: **مجازٌ** في إدخال الفساد في النفس، واحتج بهذه الآية أهل البدعة على أنَّ الشرَّ ليس مخلوقاً لله ولا أراده، وأُجيب: بأنَّ إسناده للشيطان تأدبٌ من يوسف، وفي هذا **احتراس** روعي منه؛ لستر إخوته، وفيه: **إشارةٌ** إلى إنَّ يوسف بالغ في الإحسان؛ حيثُ أسند ذلك إلى الشيطان، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّه لا يُنْسَبُ إلى الربِّ ما قُبحُه مستقرٌّ في الفِطر والعقول والشرع، كما **نبَّهت** الآية على أنَّ المكروه ينسب إلى الشيطان ابتلاءً، ولا يُنسب إلى الله إلا إيجاداً وخلقاً، وفيه: **إشارة** على حرص الشيطان على إفساد عبادة بني آدم، وفيه: **دلالةٌ إيمانيةٌ** على أنَّ حماية القلب من خُطوات الشيطان واجبةٌ وهو فرضٌ عينٌ على كلِّ عبدٍ وأنَّ نعامل الشيطان بنقيض قصده[1].

3. كلمة:**[مِنْ بَعْدِ]** اقتضت أنَّ ذلك شيءٌ انقضى أثره، وقد ألمَّ به إجمالاً اقتصاراً على شكر النِّعمة، وإعراضاً عن التذكير بتلك الحوادث المُكدِّرة للصِلة بينه وبين إخوته فمرَّ بها مرَّ الكرام، وباعدها عنهم بقدر الإمكان، إذ ناطها بنزغ الشيطان[2].
4. فيه: دليلٌ أنَّ التنازع والمخاصمة بين الإخوة مذمومةٌ، وأنَّها سببٌ في العقوبة المعنوية، وهي الحرمان من الخيرات، وأنَّ المكان الذي يحضره الشيطان ترفعُ منه البركة والخير، فيه: **إشارةٌ** أنَّ الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية؛ فجعلهم إخوة مع وجود البغي والوقيعة بينهم؛ فإنَّ المؤمن تَجِبُ موالاتُه وإنْ ظلمَك واعتدى عليك، والكافرُ تَجِبُ معاداتُه وإنْ أعطاك وأحسنَ إليك[3].
5. في الآية **دلالةٌ** على أنَّ وجود التحديات والصعوبات في حياة الداعية المسلم هي نِعمةٌ؛ لأنَّها تحفظ من الترهل وتجعل المسلم يتوقف عن الاستمرار في ممارسة الخطأ لو كان موجوداً، أنَّ العبد لا يشتغل بملامِ النَّاس، ولا ذمِّهم إذا أساؤوا إليه[4].
6. وفيها **إشارةٌ** إلى جواز ترك بعض المصالح لمصلحةٍ راجحةٍ، أو لدفع مفسدةٍ؛ حيث ترك يوسف مراجعة إخوته عندما ألقوه في الجُبِّ؛ لذلك يُستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك المُستحبات؛ لأنَّ مصلحة التأليف في الدِّين أعظم؛ ولأنَّ كمال المُستحبات من أندر الأمور، وأنَّ مراعاة خواطر جميع النَّاس مرغبٌ فيه مطلوبٌ، ومقصود دِيانةً؛ فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا التفحُّشَ، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّه لا بُدَّ من الابتلاء بما يؤذي النَّاس، وفيه **إشارة** إلى أنَّ الشدة بتراءُ لا دوامَ لها[5].
7. في حياة يوســـف أمور هي في الظاهر مِحنٌ وابتلاءٌ، وهي في الباطن طرق خفيَّة أدخل الله بها يوســـف إلى غاية كماله وسعادته، فالقصة محلُّ تأملٍ، وموضعُ تدبُّرٍ، وفي القصَّة مراعاة الطاعة عند الشدَّة بحدودِها وشروطِها وصفوتها وحلاوتها في صفة ضعف العبد من أعجوبات اللُّطف والتوفيق، وتحسين الأخلاق عند الجفاء والأذيَّة ــ وخصوصاً بين القرابة ــ من أشرف مقامات الاختصاص بالكرامة، وبذل الثَّروة والسَّعة وقتَ المحنة والحاجةِ مِن أعلى منازل العبوديَّة، وأصفى درجات السَّخاء[6].

المسألة الخامسة: قوله:**[إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ]** ، وفيه ستَّة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. هذه الجملة القرآنية مستأنفةٌ استئنافاً ابتدائياً لقصد الاهتمام بها وتعليم مضمونها، واللطف: تدبير الملائم، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ أسـماءَ اللهِ كلَّها حسـنى، وصـفاته كلَّها كمالٌ، وأفعاله كلَّها خيرٌ وحِكمةٌ وعدلٌ، وقوله:**[لَطِيفٌ]** أصـله أن يتعدَّى بالباء، وإنَّما يتعدى باللام؛ **لتضمنه** معنى مدبر، وعلل يوسف الإحسان إليهم أجمعين بقوله:**[إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ]** أي: إنَّ الله أوصل إليَّ على وجوه فيها خفاء ما فيه صلاح، يعلم دقائق المصالح وغوامضها، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك فهو اللطيف، واختيار اسم:**[لَطِيفٌ]** دلَّ على أنَّ الله يعلم المستور من

(1) ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدِّين(33/3)، والبغوي: شرح السُّنة(354/1)، وابن القيّم: مِفتاح دار السعادة(64/1).
(2) الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(57/13).
(3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى(209/28)، وابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري العسقلاني(206/1).
(4) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية(159/2)، وتكوين المفكِّر: عبد الكريم بكار(ص:191).
(5) ينظر: ابن قيِّم الجوزية: الفوائد (ص:283)، وابن قيِّم الجوزية: طريق الهجرتين، وباب السعادتين (ص:163).
(6) أبو حفص النسفي: التيسير في التفسير(303/8)، وشفاء العليل: ابن قيِّم الجوزية(354/1).

الأمور الخفيَّة على الخلق؛ كما يعلم الظاهرة منها، ويوصل إلى العبد إربه في لطفٍ وسهولةٍ، وحسنِ مَوقعٍ، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ الله لطيفُ التدبيرِ على وجه الحكمة، ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبير الله سهلٌ يسيرٌ لا يعسر عليه أمرٌ[1].

2. وفيه: **إشارةٌ** أنَّ الله جعل الشدائد والآلام والشرور في هذه الدار بتراءَ لا دوام لها، وفيه: **إشارةٌ** أنَّ القضاء الإلهي خيرٌ كلُّه[2].
3. قوله:**[إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ]**، أي: يحسن الاستخراج؛ **تنبيهاً** على ما أوصل إليه يوسف حيث ألقاه إخوته في الجبِّ، ومن لطائف التناسق أن يذكر يوسف الحصيف الكيس، اللطيف المدخل، صفة الله المناسبة للسياق**[إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ]** في الموقف الذي يتجلى فيه لطف الله في التصريف والتدبير، فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الله إذا أراد أمراً هيَّأ وقيَّض له أسباباً، وقدَّره ويسَّره[3].
4. هذه الفاصلة القرآنية تذييلٌ جميلٌ قُصد به الثناء على الله بما هو أهله؛ فالله لطيفٌ في التدبير يحقق ما يريد بلطفٍ ودقةٍ خفية لا يحسُّها النَّاس ولا يشعرون بها، وفيه: **إشارةٌ** أنَّ الأسباب وحدَها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ الله قدَّر مقاديرَ الخلائق، وهو وحدَه يُصرِّف خلقَه بين العطاء والمنع، وذلك كلُّه صادرٌ عن حكمةٍ بالغةٍ، وملك تامٍّ، والعبدُ دائماً متقلبٌ بين أحكام الأوامر، وأحكام النوازل؛ فهو محتاجٌ بل مضطرٌّ إلى العون من الله عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل[4].
5. وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ حصول الاجتماع بين يوسف وأهله مع الأُلفة والمحبَّة، وطيب العيش، وفراغ البال كان في غاية البُعد عن العقول إلا أنَّ الله لطيفٌ بعباده، إذا أراد شيئاً هيَّأ أسبابَه ويسَّرها، سهَّل حصوله، وإن كان في غايةِ البعدِ عن الحصول[5].
6. اللطيف فيه **إشارةٌ** إلى أنَّه كان ظاهر ما امتُحن به يوسف من مفارقة أبيه، وإلقائه في الجُبِّ وبيعه، ثم مراودة المرأة وسجنه مِحناً ومصائبَ وباطنُها نِعماً وفتحاً جعلها الله سبباً لسعادته في الدُّنيا والآخرة، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّه لا ينبغي أن يُتهم محسنٌ، ولا أن يُنازع مقتدرٌ، ولا أن يُضاد قهَّارٌ، ولا أن يُعترض على حكيمٍ، ولا أن يعال همٌّ مع لطيفٍ؛ فإنَّ الله لا يُوصف إلا بالعدل التامِّ، وفيه: **تنبيهٌ** أنَّ الحياة بطبيعتها لا تخلو أبداً من الهموم والغموم والكروب، وأنَّه لا راحة تامة إلا في الجنَّة، وأنَّ الدُّنيا دار الأدواء والشدة، ولهذا كان مما تميزت الجنَّة به عن الدُّنيا أنَّه ليس فيها همٌّ ولا غمٌّ ولا حَزنٌ[6].

المسألة السادسة: قوله:**[إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ]** ، وفيه خمسة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. هذه الفاصلة القرآنية تعليلٌ لما قبله، وحرف التوكيد للاهتمام، وتوسيط ضمير الفصل للتقوية[7].
2. فيه دلالة على أنَّ العباد لا يَعرفون علمَ الله إلا بما يَظهرُ، وأنَّه مطابقٌ للواقع، فيمتنع أنْ يقعَ شيءٌ يستلزمُ تغييرَ العلمِ[8].
3. قوله:**[إِنَّهُ]** فيه توكيدٌ بأنَّ الله متفردٌ بالعلم ببواطن المعلومات، والإحاطة بالمكنونات والكائنات، وفي هذه الفاصلة القرآنية **إيماءٌ** إلى أنَّ الله حكيمٌ يُجري كلَّ حدثٍ بمرادٍ دقيقٍ، خبير بمواضع الأشياء، فهو صاحب الكمال المطلق، والجمال الظاهر، والجلال العميم، يقول الحقَّ، ويفعل الصالح في كلِّ أمرٍ، ويُعاقب بالعدل كلَّ المخالفين ويعفو عن مَن يشاء فضلاً[9].
4. العليم اسمٌ لله، وفيه **إشارةٌ تنبيهيةٌ** أنَّ الله عليمٌ بمواضع الفضل والنَوال، ومَن هو أهلٌ للاجتباء والعطاء، والحكيم اسمٌ لله، فيه **تنبيهٌ** أنَّه دبَّر خلقه أحسنَ التدبير، وصنع مخلوقاته أحسنَ الصنع، فلا يدخل في تقديره خللٌ، ولا يعتري صنعه نقصٌ أو

(1) ينظر: تفسير الماتريدي(290/6) وتفسير ابن جُزيّ(661/2) والبقاعي: نظم الدرر (219/10) و تفسير أبي السعود(307/4) والشوكاني: فتح القدير (77/3).

(2) مختصر الصواعق المرسلة: ابن قيّم الجوزية(ص:268).

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن(1968/4)، وسعيد حوَّى: الأساس في التفسير (2687/5)، ومحمود الزهار: التيسير في فَهم التفسير (113/3).

(4) تفسير البغوي(500/2) وابن القيّم: الفوائد(ص:293،186) وطنطاوي: التفسير الوسيط(418/7)، ومحمد علي الصابوني: صفوة التفاسير (68/2).

(5) ابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب(218/11)، ومحمود الزهار: التيسير في فَهم التفسير (113/3).

(6) ينظر: اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة(791/4)، وتاج العروس: أحمد السكندري(ص:42) مفاتيح الفرج: محمود المصري(ص:4).

(7) الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير (58/13).

(8) ابن تيمية: مجموع الفتاوى(316/13)،(104،180/14).

(9) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب(218/11)، والشعراوي: خواطر إيمانية(145/10)، ومحمود الزهار: التيسير في فَهم التفسير (113/3).

قصـــورٌ، ولا يقع في أفعاله زللٌ ولا خطأٌ, ولا عبثٌ، وفيه **إشـــارةٌ** أنَّ اللهُ لا رادَّ لما قدَّره وأمضـــاه؛ فإنَّ أخَّر الآمال إلى آجال فلحكمةٍ، أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف فلحكمةٍ، وكلُّ أفعالِ الله عدلٌ، فالآية تعليلٌ[1].

5. في الآية **تنبيهٌ** إلى سُنة ربانية وحكمة إلهية وهي الجبر بعد الانكسار، والكسو بعد الكسر، ذلك أنَّ الله كما يَكسِرُ العبدَ بأنواع المصائب والمِحن، يَجْبُره بالعافية والنِّعمة بعدها، وأنَّ ذلك الكسرَ هو نفس اللطف والبرّ.

المطلب الثالث

دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في الآية الحادية بعد المئة

قوله:**[رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ]** {يوسف:101}.

وتنتظمُ دَلالاتُ الألفاظِ على المعاني الخفيَّة في آية هذا المطلب في مسألتين، بيانُهما على التفصيل الآتي:

المســألةُ الأولى: قوله:**[رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ]** ، وفيه تسعة معانٍ خفيَّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. قوله تعالى هو كلامٌ جامعٌ، وتذييلٌ لقصـــة يوســـف مؤذنٌ بحُســـن الختام، كما ويعدُّ من براعة النَّصّ القرآنيّ المعجز، وفي قوله:**[رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي] إشارةٌ** إلى اعتراف بالنِّعمة وسكن للمُنعِم، وقاله تحبُباً وتقرُّباً وشكراً لله، واعترافٌ بأعظم نِعم الدُّنيا[2].
2. فيه **إشارة** إلى أنَّ الربوبية إيجادٌ وعطاءٌ وإمدادٌ، وإكرامٌ وتربيةٌ ورعايةٌ، وأنَّ كلَّ مخلوقٍ له حظٌّ في عطاء الربوبية[3].
3. قوله:**[مِنَ المُلْكِ]**أي: بعضـــاً عظيماً من الملك، ويبعد القول بزيادتها أو جعلها لبيان الجنس، والتعظيم من مقتضـــيات المقام، وأراد من ذلك البعض: ملك مصـــــر في زمن خاصٍ، فكلمة:**[مِنَ]** دالةٌ على التبعيض؛ لأنَّه لم يؤته إلا بعض مُلك الدُّنيا؛ فلم يؤتَ كلَّ المُلك؛ إذ معلوم أنَّه لم يؤت لأحدٍ كل ملك الدُّنيا؛ ولأنَّه يكون في وقتٍ واحدٍ ملوكٌ، فهو **إشـــارةٌ** إلى أنَّه لم يؤتَ إلا بعض ملك الدُّنيا، وبعض العلم. وأيضـاً قوله:**[مِنَ المُلْكِ]**؛ فيه **إشـارةٌ خفيَّة**؛ أنَّ الله كان ذو ملكٍ فوقه؛ و**إشـعارٌ** بأنَّ ذلك في جانب ملك الله، وفي جانب علمِه شيءٌ قليلٌ، وفيه **دلالةٌ** على أنَّ الله لا انقضاء لمُلكه العظيم[4].
4. في الآية **دلالةٌ** على نقض قول من زعم: أنَّ كلَّ أحدٍ شـفيعُه عملُه؛ فيوسـف لم يذكر ما كان منه: أنِّي فعلت كذا؛ فافعل بي كذا، ولكن ذكر نِعم الله وإحسانه إليه، وفيها: ردٌّ على مَن زعم: أنَّه لا يكون من الله إلى أحدٍ نِعمة وإحسان إلا بعد الاستحقاق، وفيه **إشارةٌ** أنَّ يوسف كان مَلِكاً حقيقياً؛ حيث كان يتصرف في شؤون الرعية بالحظ الأوفر[5].
5. فيه: **إشـارة تنبيهية** أنَّه ذكر متعلق العلم، ولم يذكر متعلق الملك؛ لأنَّ الملك كلَّه في نفسـه شـريفٌ؛ فلذلك لم يحتج أن يقول: رب قد آتيتني ملك مصـر، والعلم منه الشـريف، والسـاقط؛ فلذلك ذكر متعلق العلم، وفي قوله:**[وَعَلَّمْتَنِي] إشـارةٌ** إلى أنَّ العلم كالذهب، ولا يودع الذهب إلا في أوعية كريمة، كذلك العلم الرباني لا يكون إلا في الصدور الطاهرة[6].
6. في الآية ســؤالٌ: لم قدَّم المُلك على العلم، والأولى العكس؛ لوجهين أحدهما: أنَّ العلم أشــرفُ؛ لأنَّ الملك أمرٌ دنيويٌّ، والعلم موصـلٌ إلى الآخرة، الثاني: أنَّ العلم سببٌ في ذلك؛ لأنَّه به حصـل له الملك، وهو تأويله لرؤيا الملك، فالجواب: أنَّه قصـد في الآية التي في ذكر الأوصـاف النسبية في محلّ الشكر، ثم قدَّم الملك؛ لأنَّه نِعمةٌ ظاهرةٌ لجميع الخلق، والعلم بتأويل الأحاديث نِعمةٌ خفيةٌ لم تظهر إلا لبعض النَّاس، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّه ذكر هاتين النِّعمتين في وصف الشكر، وترك النِّعمة العظمى، وهي

(1) ينظر: ابن القيّم: مِفتاح دار السعادة(65/1)، وتفسير البقاعي(219/10)، وسعيد حوَّى: الأساس في التفسير(2687/5).
(2) تفسير الطبري(364/13)، والجُرجاني: دُرج الدُّرر(146/2)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(59/13)والزهار: التيسير في فَهم التفسير(113/3).
(3) يُنظر: الشعراوي: خواطر إيمانية(145/10).
(4) ينظر: تفسير الجلالين(ص:319)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(59/13).
(5) تفسير الماتريدي(291/6)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(59/13).
(6) تفسير الماتريدي(292/6)، وتفسير ابن عرفة(408/2)، والشعراوي: خواطر إيمانية(147/10)، ومعارج العلوم: محمد الأسطل(ص:416).

النبوة وهي أولى بأن يذكرها ويشكر عنها؛ لأنَّ يوسف في مقام النأي به، والتعليم لغيره، فذكر النِّعمة التي شارك فيها غيره؛ ليقتدي به من حصل له شيءٌ منها يشكر عليه، وأمَّا النبوة فصاحبها معصومٌ لا يحتاج تنبيهه للشكر عليه بوجهٍ[1].

7. وفي الآية **إشارةٌ** إلى أنَّ لله عطايا يعطيها للمسلم الصادق في آخر الطريق، بعد أن يبذل الجهد في التقوى، ويستفرغ الوسع في الصبر، وفيه **إشارة** إلى أنَّ من علامات إجابة الدُّعاءِ أن يسبِقَ الدعاءَ شيءٌ من ذكر الله، ووصفِ الله بصفات الكمال[2].
8. قوله:**[فَاطِرَ]**، نصب؛ لأنَّه نداءٌ مضاف، أي: يا فاطرَ، فحذف لدلالة الكلام عليه، **والحذف من شجاعة العربية**، ووصف الله تعالى به بعد وصفه بالربوبية **مبالغة** في ترتيب مبادى ما يعقبه من كلامٍ[3].
9. قوله:**[فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]**، يفيد أن تخليق السموات مقدمٌ على تخليق الأرض، وأنَّ اللفظ يفيد أيضاً أنَّ السماء كثيرة، والأرض واحدةٌ، والمعنى: مبدعهما وخالقهما على غير مثال سابقٍ، وفيه: توكلٌ على الله، وانقطاعٌ إليه[4].

المسألة الثانية: قوله:**[تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ]** ، وفيه عشرة معان خفيّة، بيانُها وفق ما يأتي:

1. قوه تعالى: فيه **إيماءٌ** إلى أنَّ أنبياء الله كانوا يتعوذون بالله من الكفر, ويسألونَه التثبيتَ على الإيمان والتوفيقَ للطاعة, عِلماً منهم بأنَّ العبدَ لا يستطيعُ شيئاً من ذلك إلا بالله، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ الإنسان له بدايةٌ في الدُّنيا ونهايةٌ،، وهي الوفاة، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّه تقرب إلى الله بسؤال ما أوجبه الله له حتماً؛ ليكون الواجب موجوداً على سبيل الاختيار دون الاضطرار، وقد استجاب الله دعاءَ يوسف، فتوفاه اللهُ طاهراً طيباً مسلماً مؤمناً بمصر المحروسة[5].
2. وفيه: طلب الوفاة على حال الإسلام مع أنَّه رسولٌ معصومٌ؛ ليقتدي به قومُه، ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقب، وفيه **إشارةٌ** أنَّ الله قد آتاه النهاية في الشرف والمجد و**إشارةٌ** إلى أنَّ الحيَّ لا تُؤمنُ عليه الفتنة؛ لأنَّ الفتنة لا يأمنُها مؤمنٌ؛ وليس فيه أنَّ يوسف تمنَّ الموت، وإنَّما عدَّد نِعم الله عليه، ثم دعا بأن تدوم تلك النِّعم في باقي عمره، حتى إذا حان أجلُه قبضه على الإسلام، والحاصل أنَّ يوسف إنَّما طلب الموافاة على الإسلام لا الوفاة؛ لأنَّ الأنبياء لا يموتون إلا مسلمين، وفي الآية إشارة إلى أنَّ دِين الله في الأرض والسماء واحدٌ، وهو دين الإسلام، ففي الآية **إيماءٌ** إلى تَوحُّد الدِّين المِلِّي دون الشرعي، فالإسلام دين جميع المرسلين، وقد مدح الله الإسلام، وجعله اسمَ ثناءٍ وتزكيةٍ[6].
3. قوله:**[تَوَفَّنِي مُسْلِمًا]**، أي: أقبضني، فالدُّنيا منزلُ عُبورٍ لا مستقرُّ حُبورٍ، وفيه: **إشارة** إلى أنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام، فمن حصَّل الإيمان حصَّل الإسلام، بخلاف العكس، فما طلب يوسف إلا الأخصَّ[7].
4. **تنبيه:** الأصل في تمني الموت أنَّه ممنوعٌ، ويجوز أن يتمنى المسلم الموت حماية للدِّين من الفتن، وصيانة للعِرض من الأذى[8].
5. فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ النفوس لا تقفُ عند حدٍّ، بل لا تزال متشوقة لأمور أخرى، ومتشوفة للمعالي؛ فإنَّ النفس ذوَّاقةٌ توَّاقة، وفيه **إشارةٌ** إلى استحباب التأهب للموت، والاحتراز قبل الفَوْت؛ لأنَّ الإنسانَ لا يدري متى يفجأه الموت، وفيه: **إشارةٌ** إلى إنَّ مَن كملَتْ له حالتُه، وصفَتْ له سريرتُه، لاحَتْ له معرفةُ إقرار الأشياء على هيئتها، وكُشِفَ له مِن النظر إلى عظمة الله، وفيه

(1) ينظر: تفسير ابن عرفة(408/2).
(2) الرازي: التفسير الكبير(223،226/18)، وأذكار الصباح والمساء رواية ودراية: عبد العزيز الطريفي(ص:18) معارج العلوم: محمد الأسطل(ص:247).
(3) الحاكم الجشمي: التهذيب في التفسير(3718/5)، أبو السعود: إرشاد العقل السليم(308/4)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(59/13).
(4) دُرج الدُّرر: الجرجاني(146/4)، وتفسير الرازي(222/18) وأبو السعود: إرشاد العقل السليم(308/4)، والصابوني: صفوة التفاسير(68/2).
(5) ينظر: دُرج الدُّرر في تفسير القرآن: الجُرجاني(146/2)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن(270/9).
(6) ينظر: ابن أبي العزّ شرح العقيدة الطحاوية (394/2)، وابن منده: الإيمان (321/1)، وابن تيمية: مجموع الفتاوى(106/19).
(7) تفسير ابن عرفة(409/2)، وابن تيمية: الجواب الصحيح (38/4)، و ابن القيم: الفوائد (ص:25)، والطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير(60/13).
(8) تفسير الرازي(221/18)، وابن حجر: فتح الباري(548/16)، والناسخ والمنسوخ: النحَّاس(ص:533)، وسعيد حوَّى: الأساس في التفسير(2691/5).

تنويه بالدُّعاء وإلى أنَّه من الأدب تقديم الثناء على الدُّعاء وهو الذي يقتضيه المقام، كما فعل يوسف لمَّا أراد الدُّعاء قدَّم عليه الثناء، وفيها **إشارةٌ** بجواز التوسل إلى الله بذكر الأعمال الصالحة الخالصة؛ فيوسف دعا اللهَ بصالحِ الأعمالِ[1].

6. في الآية **إشارةٌ** وسُنةٌ لكلِّ مسلمٍ أن يدعوَ بهذا الدُّعاء، وهو الختمُ على الإسلامِ والإلحاقُ بالصالحين؛ لأنَّ مع الصالحين الأمنَ والسُّكونَ والغِبطةَ والحُبور، وفي الآية **إشارةٌ** إلى أنَّ المؤمن الصالح دائم الطموح، توَّاق إلى المزيد من الخير؛ فالنفس توَّاقةٌ إلى الأفضل، تستشرف الأعلى دائماً، وفيها: أنَّ الصلاح درجاتٌ، فقد دعا الله ربَّه أن يلحقه بمن كمل صلاحهم من آبائي النبيين ومن الصالحين في الرتبة والكرامة، وفيه **إشارة** إلى أنَّ يوسف كان نبياً؛ فدعاؤه لطلب الدوام على ذلك، وفيه ابتهال إلى الربِّ بالحفظ والسلامة، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ يوسف إنَّما قال ذلك تواضعاً وهضماً للنفس؛ لأنَّه من الصالحين، وفيه **إشارةٌ** إلى أنَّ الموت ليس بعدمٍ محضٍ، ولا فناء صِرف، **وإنَّما هو إلحاقٌ** وانتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ، وتبدُّل حالٍ، فيه **إشارةٌ** إلى أنَّ يوسف اشتاق إلى الجنَّة، فسأل الله ذلك، وفيه **إشارةٌ** إلى آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأنَّهم كانوا صالحين، ومن أهل الجنَّة، وفيه: **إشارةٌ** إلى أنَّ النفس خُلقت مجبولة على طلب اللذات، والحب الشديد لها، والرغبة التامة في الوصول إليها[2].

7. هذه الآية **إشعارٌ** بحسن خاتمة يوسف، **وإشارةٌ** إلى أنَّ الصدِّيق يكون مأمون العاقبة، وفيها إشارة إلى أنَّ الرجل يموت بين حسنتين: حسنةٍ قضاها وحسنةٍ ينتظرها، وفيها إشارة إلى أنَّ يوسف غلب عليه مقام الشهود وازدادت نفسُه عن الدُّنيا عزوفاً[3].

8. هذا من الدُّعاء الذي يُناسب المقام؛ فقد جمعتْ هذه الدعوةُ الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للربِّ، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره، وكون الوفاة على الإسلام أجلُّ غايات العبد، وأنَّ ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء، وتحت هذا سِرٌّ عظيمٌ من أسرار التوحيد، وهو أنَّ القلب لا يَستقرُّ ولا يطمئنُّ ويَسكُن إلا بالوصول إلى الله[4].

9. في الآية **تنبيه وتذكيرٌ** بأنَّ يوسف نبيٌّ شريفٌ كريمٌ على الله له وجاهةٌ وجلالةٌ، وفيه: **إشارة** أنَّه ما قصَّ اللهُ نبأَ إخوة يوسف يُعيِّرُهم بذلك؛ فإنَّهم أنبياء من أهل الجنَّة، ولكن الله قصَّ علينا نبأهم؛ لئلا يَقْنطَ عبدُه، وفيها: **إشارة** إلى أنَّ حلاوة الأجر، ولَذة الثواب تُنسي مرارة الألم، وشدة البلاء، والآية **إيماءٌ** بأنَّ الله كريمٌ قد أجرى سنته أنَّه من عاش على شيءٍ مات عليه، ومن مات على شيءٍ بُعث عليه، وفي الآية تفويضٌ إلى الله، واعتراف بالفضل لله، وفيه تحضيض للعباد على العزم على الشكر عند حلول النِّعم، وزوال النِّقم، وسؤال الله طيب المقام وحسن الختام، واستحباب تقديم الثناء على المسألة عند كلِّ مطلوبٍ اقتداءً بالأنبياء، وليس في الآية تمنٍ للموت؛ لأنَّه نوع اعتراضٍ ومراغمة للقدر المحتوم[5].

10. في آيات رؤيا يوسف إشارةٌ وردٌّ على من زعم أنَّ قَصص القرآن جاء مُبعثراً، فقد جاءت سورة يوسف مَحْبوكةً، من أوَّل الرؤيا إلى تولي المُلْك، وجمع الشَمْل، نزلت القصة في سورةٍ واحدةٍ؛ لتكون دليلاً على صدق النبوة، وصحة الرسالة، وفيها **إشارةٌ** بأنَّ يختم العبد حياته بالدُّعاء، وإلى أنَّ يوسف لم يشغله الجاه والسلطان، ولم يشغله لقاؤه بأهله عن طاعة ربِّه، وعن تذكر الآخرة، وفيه: حضٌّ المسلمين على الدُّعاء؛ فإنَّه استدعاء العبد ربَّه العناية، واستمداده إياه المعونة والتوفيق، وثناءٌ على الله بالعفو[6].

هذا والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(1) ينظر: ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية(384/1،381)، والألوسي: روح المعاني(78/7).

(2) ينظر: البغوي: معالم التنزيل (501/2)، وأبو حفص النسفي: التيسير في التفسير(507/8)، تفسير الشعراوي(148/10) والباجوري: تُحفة المريد: (ص:344)، وابن عاشور: التحرير والتنوير(60/13)، والصابوني: صفوة التفاسير(68/2)، والألوسي: روح المعاني(60/77).

(3) البقاعي: نظم الدرر(219/10)، و صفوت عبد الفتاح محمود: الصدق أثره في حياة الفرد والأُمة (ص:35).

(4) ابن القيّم: الفوائد(ص:293)، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية(299/2)، و عبد الله بن عبد العزيز الجبرين: شرح عمدة الفقه (307/1).

(5) ينظر: ابن حجر: فتح الباري(507/3)، والألوسي: روح المعاني(58/77)، والمختصر في تفسير القرآن(ص:247).

(6) الخطابي: شأن الدُّعاء (ص:4)، و ابن قيّم الجوزية: زاد المعاد (382/1)، وطنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن (418/7).

الخاتمة

في نهاية هذه الدِّراسة، نحمد الله ونشكره، حمداً وشكراً دائمين، متلازمين، على ما أمدنا به من العون، والتيسير، والعافية، والسلامة، ولقد وقع الباحثانِ على فوائد عظيمة، ونتائج شريفة، ومعاني جليلة، وهو من التفسير الذي تقبله النَّفْسُ، ويُسلم له العقل، ويطمئن إليه القلب،، ما يشهد للقرآن بصدق مصدره، من كونه كلام ربِّ العالمين، الدال على صدق النبوَّة، وصحة الرسالة.

أوَّلاً: أهمُّ النتائج:

1. أنَّ أعرَفَ النَّاس بمعاني القرآن، وأحراهُم بالوقوف على كُنْهِه ودَرْكِ أسراره، وفَهم ألفاظه الشريفة، وإدراك مقاصده، وأقدرهم على استنباط معانيه الخفيَّة، هم علماء التفسير ابتداءً؛ لذلك نال علم الدَّلالة اعتناءً كبيراً، ومُلحوظاً من المفسرين.
2. تطبيقات دلالة الألفاظ على المعاني الخفيَّة من خلال آيات رؤيا يوسف كشفت اختيار القرآن اللفظة المناسبة في الموضع المناسب من السياق القرآني، وألفاظه الشريفة مملوءةٌ بالدَّلالات على المعاني الخفيَّة.
3. سورة يوسف تحثُّ على التأويل الصحيح للرؤى؛ فقد بُدئت برؤيا يوسف، واختتمت برؤيا الملك، وهذه إشارة إلى أهمية الرؤيا في حياة النَّاس، وهي بابٌ عظيمٌ في التنبؤ بالمستقبل.
4. المعنى الخفي موضوعٌ جليلٌ القدر؛ فإنَّ الألفاظ ما وجدت إلا للإفصاح عن المعاني الخفية أصالةً، والمعاني الظاهرة تبعاً، وبناءً عليه لا بُدَّ من النظر في النصوص القرآنية، والتدقيق في الألفاظ القرآنية لاستنباط المعاني الخفية الدقيقة.
5. إنَّ في ترك تتبع وتقصي المعاني الخفيَّة انحراف عن الجادة في فهم أسرار الإعجاز، وبلاغة التنزيل.
6. إنَّ ألفاظ القرآن ذات دلالات كثيفة المعنى، فألفاظ القرآن متناهية، بخلاف المعاني فإنَّها غيرُ متناهيةِ العدد.
7. أنَّ كلَّ معنىً باطنٍ يخالفه الظاهر فهو باطلٌ، وأنَّ المعنى الباطن تبعٌ للمعنى الظاهر، وأنَّ ألفاظ القرآن فضاءٌ واسعٌ، ومملوءةٌ بالرموز والمعاني والدلالات، والإشارات الخفيَّة، وأنَّ الجهل باللُّغة أكبر قاتلٍ للموهبة؛ لأنَّ اللُّغة نصف العلم.
8. الاكتفاء بالتلويح عن التصريح أسلوبٌ بيانيٌّ أصيلٌ يَنمُّ ويُنبئ عن أدبٍ رفيعٍ في القرآن الكريم.
9. في آيات رؤيا يوسف(عليه السلام) دليلٌ على أنَّ شرع من قبلنا شرعٌ لنا، وذلك إذا ساقه إمام شرعنا(ﷺ) مساق المدح والثناء، ولم يقيده بقيد صحَّ الاستدلال به، وفيها تسليةٌ للمظلوم، ووعيدٌ للظالم، وأنَّه لا يغترُ بالإمهال؛ فإنَّه ليس بإهمالٍ.
10. الفَهم الجيِّد للنصِّ القرآني لا يقتصر على المعاني الصريحة المباشرة، وإنَّما يشمل المعاني الخفيَّة البعيدة.

ثانياً: التوصيات:

1. يوصي الباحثان بالعناية بعلم دلالة الألفاظ على المعاني الخفية للآيات القرآنية؛ لأنه العلم الذي يعتني بدراسة المعنى.
2. يوصي الباحثان العلماءَ والباحثين بكتابة الأبحاث في دلالة الألفاظ على المعاني الخفيَّة لآيات القرآن الكريم جميعاً.
3. نوصي كلَّ العاملين في الحقل الإسلامي بأن يعرضوا هذه المعاني الخفية الصحيحة على جمهور النَّاس من أجل نهضة الأمَّة.
4. نلفت الانتباه إلى ضرورة التأني والتحري والتدقيق في فَهم دلالات الألفاظ على المعاني الخفيَّة.

واللهُ وليُّ التوفيق، وبيده أزِمَّةُ التحقيقِ، لا ربَّ غيرُه، ولا إلهَ سواه.

المصادر والمراجع

أولاً: أهمُّ المراجع العربية:

القرآن الكريم: تنزيلٌ من ربِّ العالمين.

ابن عطيَّة، أبو محمد عبد الحقِّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسي(ت: 542هـ)، (1436هـ ـــ 2015م) ***المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، الطبعة الأولى، قطر، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الطاهر ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور(ت:1393هـ)، (1997م)، ***التحرير والتنوير***، الطبعة الأولى، تونس، دار سُحنون للنشر والتوزيع.

الألوسي، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت:1270هـ)، (1415هـ ـــ 1994م)، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت . لبنان، دار الكتب العلمية.

الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي(606هـ)، (1401هـ ـــ 1981م)، ***مفاتيح الغيب***، الطبعة الأولى، بيروت . لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الحاكم الجشمي، أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي(ت:494هـ)، (د. ط)، ***التهذيب في التفسير***، تحقيق: عبد الرحمن بن سلمان السالمي، القاهرة، دار الكتاب المصري.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت:310هـ)، (1422هـ ـــ 2001م)، ***جامع البيان عن تأويل آى القرآن***، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مصر، الجيزة، دار هجر للطباعة والنشر والإعلام.

القرني، عائض عبد الله القرني، (1436هـ ـــ 2015م)، ***التفسير الميسر***، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة الرياض، شركة مكتبة العبيكان.

الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت:852هـ)، (1432هـ ـــ 2011م)، ***فتح الباري بشرح صحيح البخاري***، تحقيق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الرابعة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

قطب، سيد قطب بن إبراهيم حسين الشاذلي(ت:1387هـ)، (1423هـ . 2003م)، ***في ظلال القرآن***، الطبعة الثانية والثلاثون القاهرة، دار الشروق.

ابن قيِّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي(ت:751هـ)، (1419هـ ـــ 1998م)، ***زاد المعاد في هدي خير العباد***، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

الخالدي، صلاح عبد الفتَّاح الخالدي(ت:1443هـ)، (1432هـ ـ 2011م)، ***القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث***، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم.

شيخ الإسلام ابن تيميَّة، أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة الحرَّاني(728هـ)، (1416هـ ـــ 1995م)، ***مجموع الفتاوى***، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم النجدي، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

طنطاوي، شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي(ت:1431هـ)، (1400هـ)، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، الطبعة الأولى، مصر، دار السعادة.

أبو حيَّان، محمد بن يوسف بن علي أبو حيَّان الأندلسي(ت:745هـ)، (1422هـ ـ 2001م)، ***البحر المحيط في التفسير***، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(ت:982هـ)، ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***،(د . ط)، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

الجُرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرجاني(ت:471هـ)، ***دُرج الدُّرر في تفسير القرآن العظيم***، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور، الطبعة الأولى(1430هـ ـ 2009م)، المملكة الأردنية الهاشمية، عمَّان، دار الفكر.

حوّى، سعيد بن محمد ديب بن محمود حوّى(ت:1409هـ)، (1424هـ - 2003م)، ***الأساس في التفسير***، الطبعة السادسة، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت:538)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، الطبعة الثالثة(1407هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي.

الماتريدي، محمد بن محمد بن أحمد أبو منصور الماتريدي (ت:333هـ)، (1426هـ ـــ 2005م)، ***تأويلات أهل السُّنة***، تحقيق: مجدي باسلوم، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي(ت:597هـ)، (1422هـ)، ***زاد المسير في علم التفسير***، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.

صالح، محمد أديب صالح(ت:1438هـ)، (1413هـ ـــ 1993م)، ***تفسير النصوص في الفقه الإسلامي***، الطبعة الرابعة، عمَّان، المكتب الإسلامي.

ابن جُزي، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جُزيّ الكلبي(ت:741)، (1439هـ ـــ 2018م)، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، الطبعة الأولى، مكَّة، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع.

الصابوني، الشيخ محمد علي الصابوني(ت:1442هـ)، (1417هـ ـــ 1997م)، الطبعة العاشرة، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر.

ثانياً: أهمُّ المراجع الأجنبية:

The Holy Quran

Ibn Attia, Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Attia al-Andalusi (542 AH), (1436 AH - 2015 AD), ***the brief editor in the interpretation of the dear book,*** (In Arabic). first edition, Qatar, published by the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.

Al-Taher Ibn Ashour, Sheikh Muhammad Al-Taher bin Muhammad Al-Taher Ibn Ashour (1393 AH), (1997 AD), ***Al-Tahrir and Al-Tanweer***, (In Arabic). first edition, Tunisia, Dar Sahnoun for publication and distribution.

Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husayni al-Alusi (1270 AH), (1415 AH - 1994 AD), ***The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani,*** (In Arabic). investigation: Ali Abd al-Bari Attia, first edition, Beirut - Lebanon, Dar al-Kutub al-Alami.

Al-Fakhr Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan Al-Razi (606 AH), (1401 AH - 1981 AD), ***Keys to the Unseen,*** (In Arabic). first edition, Beirut - Lebanon, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.

Al-Hakim Al-Jashmi, Abu Saad Al-Muhsin bin Muhammad bin Karama Al-Bayhaqi Al-Jashmi (494 AH), ***Al-Tahdheeb fi Al-Tafseer,*** (In Arabic). investigation: Abd Al-Rahman bin Salman Al-Salmi, Cairo, Dar Al-Kitab Al-Masry,

Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir bin Yazid Al-Tabari (310 AH), (1422 AH - 2001 AD), ***Collector of the statement on the interpretation of the verses of the Qur'an,*** (In Arabic). investigation: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, first edition, Egypt, Giza, Dar Hajar for printing Publishing, distribution and media.

Al-Qarni, Ayed Abdullah Al-Qarni, (1436 AH - 2015 AD), ***The Easy Interpretation,*** (In Arabic). Kingdom of Saudi Arabia, Fifth Edition, Riyadh, Obeikan Library Company.

Al-Hafiz Ibn Hajar, Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani (852 AH), (1432 AH - 2011 AD), ***Fath Al-Bari with the explanation of Sahih Al-Bukhari,*** (In Arabic). investigation: Abd al-Rahman

bin Nasser Al-Barrak, fourth edition, Saudi Arabia, Riyadh, Dar Taibah for publishing and distribution.

Qutb, Sayyid Qutb bin Ibrahim Hussein Al-Shazly (1387 AH), (1423 AH - 2003 AD), ***in the shadows of the Qur'an***, the thirty-second edition, Cairo, Dar Al-Shorouk.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub al-Dimashqi (751 AH), (1419 AH - 1998 AD), ***Zaad al-Maad fi Huda Khair al-Abad***, (In Arabic). investigation: Shuaib and Abd al-Qadir al-Arnaout, third edition, Beirut, Lebanon, Foundation the message.

Al-Khalidi, Salah Abdel-Fattah Al-Khalidi (1443 AH), (1432 AH - 2011 AD), ***Quranic stories, facts and events analysis***, (In Arabic). third edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

Sheikh of Islam Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas Ahmad bin Abd al-Halim Ibn Taymiyyah al-Harrani (728 AH), (1416 AH - 1995 AD), ***Collective Fatwas,*** (In Arabic). compiled and arranged by: Abd al-Rahman bin Muhammad Qasim al-Najdi, first edition, Kingdom of Saudi Arabia, The Prophet's City, Majlis King Fahd to print the Holy Quran.

Tantawi, Grand Sheikh of Al-Azhar Muhammad Sayyid Tantawi (1431 AH), (1400 AH), ***Interpretation of the Holy Qur'an***, (In Arabic). first edition, Egypt, Dar Al-Saada.

Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali Abu Hayyan Al-Andalusi (745 AH), (1422 AH - 2001 AD), ***Al-Bahr Al-Muheet fi Al-Tafsir,*** (In Arabic). investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, and Ali Muhammad Moawad, first edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Kutub Scientific.

Abu Al-Saud, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa Al-Amadi (982 AH), ***Guidance of the Right Mind to the Advantages of the Holy Book***, (In Arabic). Beirut, Lebanon, Dar Revival of Arab Heritage.

Al-Jurjani, Abu Bakr Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman bin Muhammad al-Jurjani (471 AH), (1430 AH - 2009 AD), ***Darr al-Durar fi Tafseer the Great Qur'an,*** (In Arabic). investigation: Talaat Salah al-Farhan, and Muhammad Adeeb Shakur, first edition The Hashemite Kingdom of Jordan, Amman House of thought.

Hawwa, Said bin Muhammad Dib bin Mahmoud Hawwa (d.: 1409 AH), (1424 AH - 2003 AD), ***The Basis of Interpretation***, (In Arabic) .Sixth Edition, Cairo, Egypt, Dar Al Salam for printing, publishing, distribution and translation.

Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Ahmed Al-Zamakhshari (538), ***Al-Kashaf on the facts of the obscure revelations and the eyes of sayings in the faces of interpretation,*** (In Arabic). third edition (1407 AH), Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Matridi, Muhammad bin Muhammad bin Ahmad Abu Mansur al-Matridi (333 AH), (1426 AH - 2005 AD), ***Interpretations of the Sunnis,*** (In Arabic). investigation: Majdi Basloum, first edition, Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiya.

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad, Ibn al-Jawzi (597 AH), (1422 AH), ***Zad al-Masir in the science of interpretation***, (In Arabic). investigation: Abd al-Razzaq al-Mahdi, first edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi.

Saleh, Muhammad Adeeb Saleh (1438 AH), (1413 AH - 1993 AD), ***Interpretation of Texts in Islamic Jurisprudence,*** (In Arabic). Fourth Edition, Amman, The Islamic Bureau.

Ibn Juzi, Abu al-Qasim Muhammad bin Ahmad Ibn Juzi al-Kalbi (741), (1439 AH - 2018 AD), ***Facilitation for the Sciences of Revelation,*** (In Arabic). first edition, Mecca, Dar Taiba al-Khadra for Publishing and Distribution.

Al-Sabouni, Sheikh Muhammad Ali Al-Sabouni (1442 AH), (1417 AH - 1997 AD), ***Tenth*** (In Arabic). Edition, Cairo, Dar Al-Sabouni for Printing and Publishing.